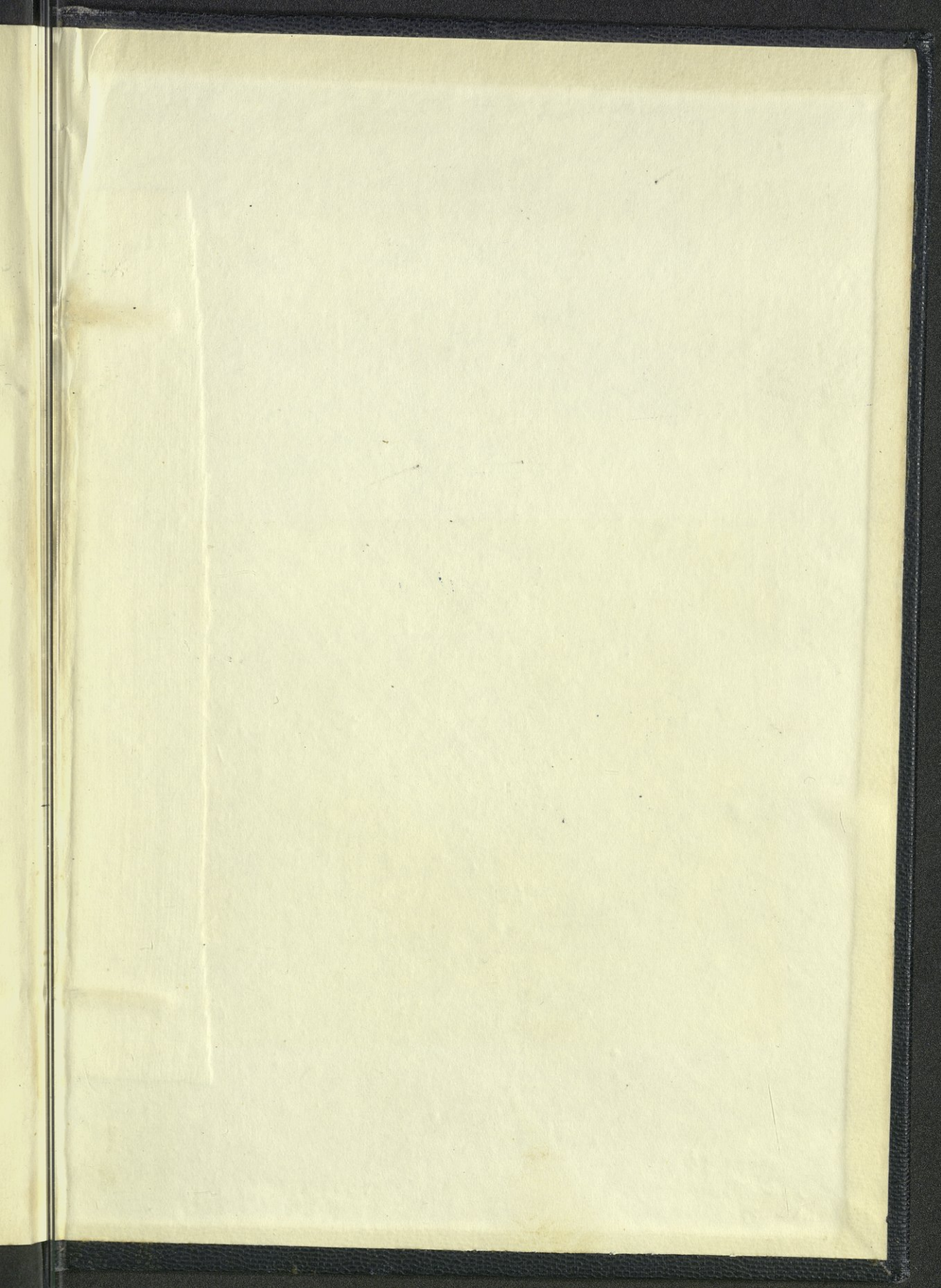
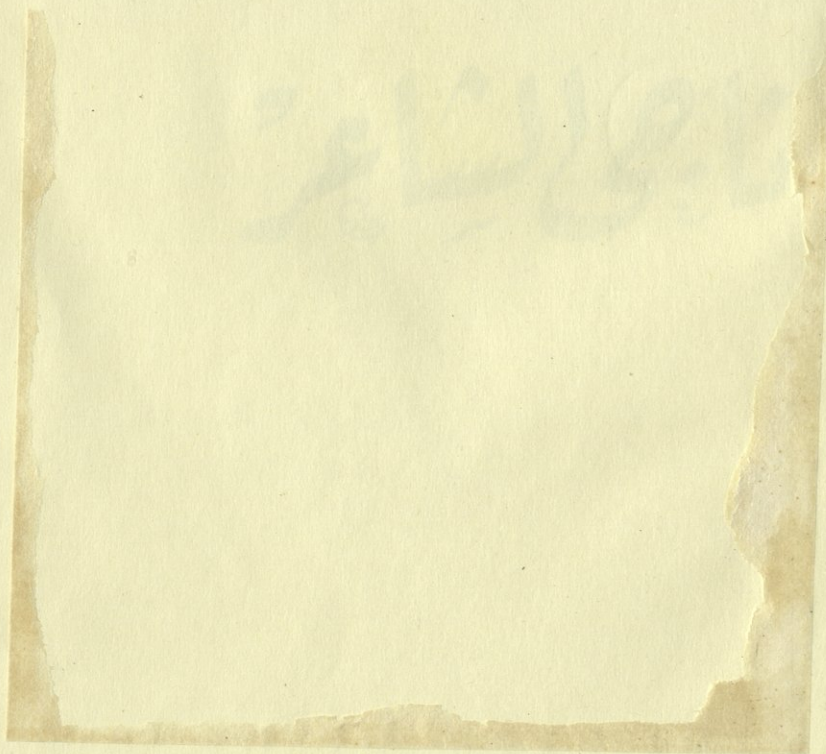
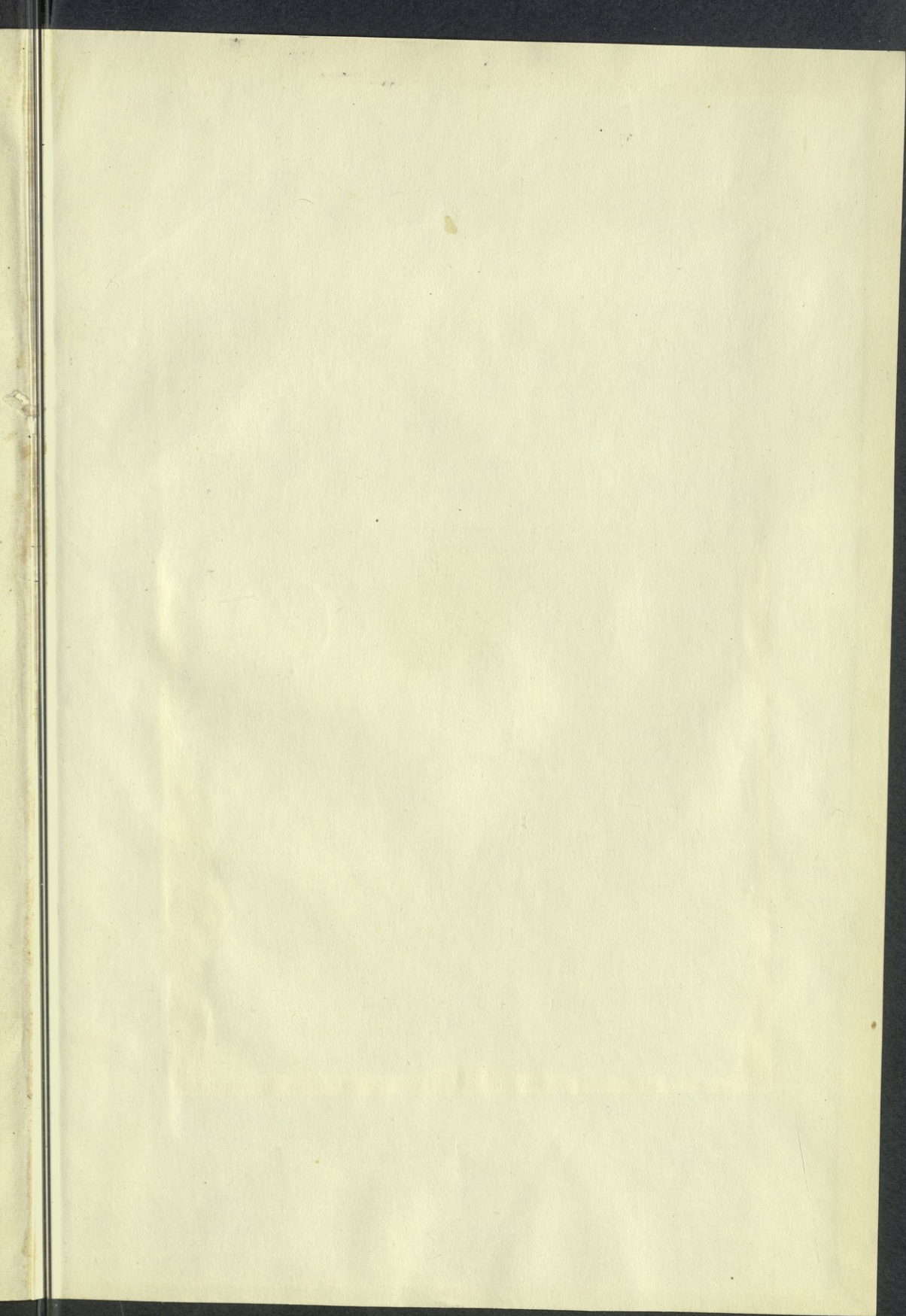








892.78
F949nA
C.1

نعمان أحمد فؤاد
ماجستير في الآداب

نابجى الشاعر

رابطة الأدب الحديث بالقاهرة

١٩٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُعَلِّمَاتُ

الطبعة الأولى

المطبعة المنيرية بالأنبار

المقدمة

لقد كتب السكاتبون قبلي عن الدكتور إبراهيم ناجي الشاعر أو الروح
الحساسة الرفافة المهيرة ... واليوم سوف أضيف إلى رأيهم الجميل فيه -
رأى النقد ...

لقد شكك الطبيب الشاعر من ظواهر غريبة بدت في الجو الأدبي ،
أولها : إيهام في القيم ، وغموض في المقاييس ، وثانيهما : وهو المهم اختفاء
النقد بالذات من عالم الأدب ... هناك إنتاج أدبي ضخم بدون شك ، ولكن هذا الترف من الفوضى ،
على حد تعبير جوفري ويست ، أو بعبارة أخرى هذه البضائع المسكدسة
في أسواق الأدب ، بلا ضابط ولا صير في يمين صحيحهما من زائفها ، يدل على أننا
في عصر متمسم بخاخصة من عدم المبالاة ، وعدم الإلحاح في إيجاد روابط ،
وضوابط (١) .

هذه الصرخة التي نددت عن شفقي الشاعر تحفزني إلى نقد شعره استجابة
لعدوته وتلبية لندائه ... تحفزني إلى نقد شعره ذلك النقد الذي وصفه
بأنه «وعي الفن» ... إن ناجي ، يرى أن (الفن يلاور القيم الإنسانية ،
أما النقد فيجلو هذه القيم المتبلورة للأنظار) (٢)

على ضوء هذا التعريف الصادق للنقد ، سأمضي بإذن من الله وتوفيق ، في
نقد شعر ناجي الذي حسب أن الناس ستلتسأه ... وأفزع هذا الخاطر عندما
مرض وشعر أنه ينتهي فقال :

(١) كتاب رسالة الحياة للدكتور ناجي ص ٧٩ - ٨٠

(٢) المرجع نفسه ص ٨٣

لمحة من حياة

حقول خضر ، ومروج فيج ، تنبسط على مدى الطرف غناء متواجة ،
وعلى جانبيها قامت الأشجار ، كأنها متجردة لحراسة النعمة التي أعدها الله
في تلك البقعة بغير حساب ...

وفي وسط تلك الجنة بنوارها وأشجارها وغدرانها وطورها الغريدة ،
قام بيت ، عليه من النعمة جمال ضاف ، وظل فينان . وكأن تلك المروج لم تشبع
الحاسة الفنية في أهله ، فأحاطوها بحديقة نسقوها على هواهم ، ووشوها
بذوقهم ، لتزيد جمال المسكان كله إشراقاً ، وخضرته نضرة ، ونعيمه راحة ،
وترفه فنا وعطر أو سحرا ...

وكان في الحديقة ساقية تئن ، لأنها تروى هذا الجمال كله وتنميه ، وبها حاجة
إلى إرواء .. مسكينة تلك الساقية تمتلئ بالماء لتسكبه ثم لا يبقى في جوفها
الحيران شيء ... ما أقرب حالها وأشبه حظها بالعيس التي يقتلها الظمأ والماء
على ظهرها محمول ... إن الأشياء كالناس : فيها السعيد وفيها الشقي ... وفيها
الحران وفيها من يزيد على حاجته الرى ...

ولكن ساقية الحديقة لا تدرك هذا ، فهي تئن أننا متصلان بضع في
زحمة النهار وصخبه ، ويتميز في الليل الساجي ، حتى ليخيل إليك أنه ينبعث
لساعته رتينا حزينا شجيا ... ولما كان الأسى يبعث الأسى فان ساقية الحقل
كانت من وراء جدران الحديقة تتجاوب مع زميلتها بمثل أنينها وشكواها ،
هنا يفصفضان إذ يظنان أنهما في الليل حيث لا يراها أحد ، ولا يسمعهما
أحد ...

في ذلك البيت بجوه الفاعم ، وأنسه الناعم ، ولد إبراهيم ناجي ، فزاد أهل شبرا واحدا ، وزاد أهل مصر زيادة لا تحصى ، لأن الوليد شاعر ... وما بالقليل في الأمة أن يولد فيها شاعر ، فقد انتصر الألمان على الفرنسيين في الحرب السبعينية ، فهان نصرهم في عين أحد الفرنسيين الذي تهافت قائلا : وما قيمة هذا النصر ما داموا ليس عندهم شاعر كفيكتور هوجو يغني نصرهم ويخلده ؟

ودرج الوليد مع الأيام وبدأ يتعرف على مافي البيت حوله .. ما هذا ؟ إنها مكتبة ضخمة ، صنفها والده بنفسه ، وقد قرأها كتابا كتابا ...

ووهي الغلام هذا الجواب حتى إذا تعلم القراءة هرول إلى المكتبة ل ... يقرأ ... إنه الآن يفتح كتابا هو قصة (عذراء الهند) لمؤلفها أحمد أفندي شوقي بالمعية السنية ... ها هو ذا الصبي تستغرقه القصة وإذا بوقع أقدام في الخارج ، ثم يدخل والده عليه ... ويرى الوالد القراء ابنه الصغير على تلك الهيئة فتلع عيناه ويحمد مولاه ، ويربت على الغلام ويتعرف على الكتاب الذي في يده ، ثم يأخذ مكانه إلى جواره ليحدثه عن قصة عذراء الهند ، ويتطرق الحديث بالطبع إلى المؤلف أحمد أفندي شوقي ، فيقول الوالد : « هذا يا ابني شاب ستسمع عنه كثيرا فتذكر ما أقوله لك » ، ثم يضيف : « إنه فلتة من فلتات الطبيعة » (١)

أرأيت ؟ كيف يفتح الآباء الأبناء ، وكيف يوحون إليهم ؟ وذات يوم صحب الوالد ابنه إلى طنطا في مولد السيد البدوي ، فمرا بكتبي رأى في المولد فرصة ذهبية لتصرف ما عنده ... ووقف الأب يتفقد النفيس المجهول ، فعثر بين الكتب المبدولة بالعرض الغافل على ديوان حافظ إبراهيم ، فالتقطه ونقد المكتبي الثمن ، ثم التفت إلى إبراهيم وقال له : « اقرأ هذا أيضا » (١) الوقائع من مقال للدكتور ناجي عن تاريخ حياته

ولو أن الفرق بينه وبين شوقي كبير - كبير جدا ...)^(١)

وفي يوم آخر اصطحب الوالد ابنه الموهوب لزيارة قريب قاطن بحى الإمام الحسين رضى الله عنه - وفي عودتهما اشترى له ديوان الشريف الرضى ، وأقبل عليه يقول فى صوت النجى : (هذا رجل عظيم وشعره شعر رجال ، عليك بدراسته جيدا)^(٢).

ومضيا فى طريقهما حتى مكتبة أمين هندية ، فأشار الأب إلى المكتبة وعرف ابنه بها ، وقال له (سأشترى لك ديوان خليل مطران ليكون عندك فكرة كاملة عن شعراء مصر)^(٣) .. ثم تمهل قليلا وقال : (أما المتنبي فسنقرؤه معا ...)

... ..

أندرى كم كان عمر الغلام فى ذلك الحين ؟ تخيل ! إن طفلنا كان يبلغ من سنه اثنى عشر عاما تقريبا ... مستحيل ، لماذا ؟ إن الموهوبين كالآلهة لا تحتاج السنين الطويلة لتستدير ، بل يكفى بضعة عشر يوماً ليصير الواحد منها بدرا كاملا ...

وحبذا الموهبة يفتحها التلقين المبصر ، ويزكيها التبصير الواعى المدرك ، ويصقلها التعهد الفنان ...

وهكذا كان والد إبراهيم .. كان قراء يعرف ماذا يقرأ وكيف يقرأ ، كما كان يعرف قيمة الوقت وكيف ينفقه وكيف يضمن به على التضضيع ...

كان بيته منتدى له ولأولاده يجلس بينهم ، ثم تتحلق حوله من فلذاته الندوة ... هنا جو القلب ، وهنا أكرم الحب ، وهنا يعذب السمر ويطيب الحديث ... وعلى مثل هذه الجلسات يطل الله من عل ليباركها ويضفى عليها

(١ و ٢ و ٣) الوقائع من مقال للدكتور ناجى من تاريخ حياته

السلام والرضا والطمأنينة ... ما أهنأ وما أصفى ...

نعم ما أهنأ وما أصفى ، ولكن التاريخ يحلو له أن ينزل ضيفاً على بيوت صانعيه ، ولا يتخرج من مشاركتهم في شئونهم الخاصة . وحجته أنهم ملكه أكثر مما هم ملك أسرهم أو حتى ملك أنفسهم . وهكذا يأخذ التاريخ مكانه في تلك الندوة إلى جوار الطفل ناجي ليسجل ...

على كل حال كان الأب مشغولاً عن هذا كله ... إن همه أن يقرأ لأولاده روائع الأدب من الشرق والغرب ... ويقرأ حيناً ويفسر آناً ويتحدث أحياناً ويكرر في (الشيشة) آونة أخرى ... ويظل في مجلسه حتى يحين ليل ويهوى على الأجفان الصغيرة النعاس ، فيفض الوالد المجلس قبل أن تستسلم للنوم ... ويأوى الأطفال إلى سرهم لينعموا بأحلام الطفولة السعيدة ، ويأوى معهم أخوهم إبراهيم ولكن ... ولكنه لا ينام ... إنه مسحور بما سمع ، وفي نفسه بقية شوق ... إن الحظ حفي به . فقد جعل نصيبه الغرفة المجاورة لغرفة والده ... إن في مقدوره الآن أن يتابع الإصغاء إلى الصوت الهادي الجميل الذي يعرف كيف يصور بيدع ساحر ويلون بريشة فنان ما عنده من قنى الفن وطرائف الأدب .

وهكذا يظل صاحبنا الصغير ساهراً لا يغمض له جفن ، يسمع من وراء الجدران ما يقصه والده على أمه مما يكون قد قرأه بنهار ... ويود إبراهيم لو استرسل الوالد السميع يتحدث كشهريار زاد إلى الصباح . ولكنه بعد فترة قد تطول أو تقصر يسمع مفتاح النور وهو يمن بنعمته ، فإذا الغرفة ظلام وسكون فيفهم إبراهيم أنها تنهياً للنوم ...

وعلى هذه الطريقة ، طريقة الانتساب إلى الغرفة المجاورة ، سمع شاعرنا وهو طفل (أوليفر تويست) كما سمع كل قصص شرلوك هولمز ، وأغاب قصص رايدار هاجارد ... وكثيراً سواها ...

تفتح الشاعر الموعود للأدب العربي بعد أن تفجر نبعه أمامه ، فاقبل عليه
يعب منه عللا بعد نهل ، فلا هو يروى ولا هو يسلو الرشيف ...

واطمأن الوالد وقرت عينه ورأى من كمال الصواب أن يتجه به إلى ناحية
أخرى ... إلى الأدب الغربي وهو زلال سائغ يلذ الشاربين ...

وفكر الوالد مليا بما ذا يبدأ ؟ ولم يلبث أن اختار السكاتب الإنسان
(ديكنز) وأخذ الوالد يقرأ ديكنز ويعلق عليه ويشرحه ... والولد ينظر
وقد اتسعت حدقتاه من العجب والإعجاب معا ... إنه القصص الذي يسمع
به من الغرفة المجاورة ويشتهي أن يسترسل والده فيه ...

وفي يوم من أيام الشتاء خرجا معا ... ثم حدث أن جادتهم السماء بالقطر
ثم انهمر الغيث ، فأظل الوالد ابنه بمظلته ، وسارا الاثنان تحت مظلة واحدة كما
تجاورا في الحياة غصنين في دوحة واحدة ، ودلفا إلى مكتبة بمصر القديمة ...
أتعرف هذا السكاتب الذي يحمله الوالد ... دا ... فيد ... مه ! انه
دا فيد كوبر فيلد ... احدى روائع ديكنز صديقه الجديد . ليت إبراهيم
يلتفت إلينا ليرى ...

عندى لك مفاجأة أخرى ... لقد دفع الرجل الثمن وحمل السكاتب
ليضي به والتفت إلى ابنه فاذا به مشغول بقراءة ورقة في يده ... وحالا للوالد
أن يعرف ما فيها ... أتدرى ماذا ؟ لقد كانت قصيدة غزل ! نظمها هذا
الشويعر الصغير ... أتصدق ؟ على كل حال لقد ضبطه أبوه متلبسا بها ...
وأخذ الرجل الأديب يقرأ وهو يخفي ابتساما يصير على التبدى والإفشاء ...
ووشى بغبطة الرجل افترار ثغره ، ونم على سروره طلاقة وجهه ، ولكنه
تكلف الجد على عادة الآباء وقال له : « هذا أكبر من سنك » ... ولكن
هذه العبارة مدح سافر ، قد يغري غرور الحداثة في إبراهيم بالتمادى في الغزل

حين لا يريد الأب هذا ... ماذا يفعل لقد أردف قائلا : (لا تمنع في الغزل ،
بل أكثر من شعر الحماسة والوطنية) ...

إن إبراهيم الآن لا يفكر في شعر الغزل أو شعر الحماسة والوطنية ...
لقد حبس نفسه في غرفته أياما طويلة . ومع ديفيد كوبر فيلد والقاموس
وأقبل على القصة يقرأ في نهم رغم اعتراض سيل من الألفاظ الصعبة عليه ،
ولكن ما عمل القاموس إذن ؟ كان يكشف عن كل لفظة تبهم عليه حتى
لا يفوته شيء من المعنى وظل على هذا المنوال حتى التهم القصة كلها التهاما ...
التهمها بعينه ولسانه وعقله ... كأن الثلاثة في سباق ... العين تحدد ،
واللسان يرتل ، والعقل يعي ويخزن ويتمثل ...

وحفظ إبراهيم قصة ديفيد كوبر فيلد وحفظ بحفظها محصولا من كلمات
اللغة الانجليزية كان رصيده على الأيام ، حتى استطاع أن ينظم الشعر بالانجليزية
قبل العربية ... وحتى استطاع ان يشترك في مسابقة شعرية ، كانت جائزتها
حدس ... ماهي الجائزة ؟ ... وحدس أيضا من الفائز ...

الفائز إبراهيم ناجي ! مرحى .. مرحى ... بقى عليك أن تتخيل معي
الجائزة ؟ لا عليك ... سأنبئك بها ... انها مؤلفات ... دكنز ... ومن
يذنها بالطبع القصة المرموقة ديفيد كوبر فيلد !

ديفيد كوبر فيلد القصة التي كتب عنها في حرارة وإيمان ...

بعد هذا :

الذي انطبع في ذهني هو دافيد كوبر فيلد . لا أعرف السر في ذلك ،
ولكنني أعتقد الآن أن قوة هذه القصة في انها سيرة صادقة لديكنز بالذات ،
عبر فيها أصدق التعبير عن انفعالاته ، وشرح فيها الحب العفيف الراقى أوفى

شرح ، وكنت أنا إذ ذاك في بدء محاولاتي للشعر^(١) ، فلم يكن عجيبا ان ينتعش ديكنز في خيالي بسمو روحه ونقاء قلبه ، مع أنه لم يكن شاعرا ، ولكن الذى كتبه نثر هو فى الحق أرفع وأعلى من شعر ألاف من الشعراء .. وماذا فى قصة دافيد كوبر فيلد ؟ إنها تذكرنى - أوعلى الأقل تجرى فى خيالى - مع عودة الروح لتوفيق الحكيم ... لاشئ غير الصدق والواقع ... قصة غرام قد تنتهى للاشئ ولكنها فى الحياة كل شئ ...

قصة غرام ديكنز بالفتاة (دورا) ... دورا التى كان لا يقول إنها حبيبته بل كان يسميها وجوده العزيز ... أبدع وصف فى لغة الهوى الرفيع ... لم تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده) جميعا ... كونه الملهم ، وحب الصافي ..^(٢) إن (ناجى) يصور شعوره بالقصة إذ قرأها أول مرة ... عند ما كان غلاما فوق العاشرة بقليل ، لقد نفذ وقتئذ إلى ما فى تعبير ديكنز عن الحبوبة بالوجود العزيز ... لم تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده) جميعا .. كونه الملهم ، وحب الصافي ...

أرأيت شفافية الطفل وذكاء حسه ، وصفاء نفسه المطبوعة على الحب ،
المهياة له ؟

« لم تكن حبيبته فحسب بل كانت (وجوده جميعا) ... »

لقد غاص الصغير فى أعماق الفنان الكبير وعرف سره ووعى قصده ... وما بالقليل وما باليسير هذا ... إن المتذوق يكاد يرتقى إلى مرتبة الفنان ، وهيات أن يتذوق العمل الفنى شخص عادى غير مزود ولو بقبس مما وهبه الفنان من

(١) يضم ديوان الدكتور ناجى (وراء الغمام) قصيدة قالها وهو فى الثالثة عشرة مما يدل على أن محاولاته بدأت قبل هذا .

(٢) مقال للدكتور ناجى بعوان : (كتب أثرت فى حياتى) ... الجمهور المصرى

موهبة الفن بما تقوم به من حس ونفاذ^(١).

وهكذا كان اليافع ابن الثانية عشرة يدرك مرامي القول الفني ومحس جماله... كانت نفسه طلعة وروحه متلطفة تحس وقدة الظمأ، توافقة تهفو إلى... شيء.. والفن يخيلها على صورة مكتبة وقارىء ذواق... إن جدران البيت لاتعترف بغير زينة المكتب، وصاحب البيت لا يغالى بشيء فيه كتلك المكتبة.. وهو يحاول جهده أن يغرس فى ولده حب الفن، ويورثه إعزازه للمكتبة.

وفى الحق أن مهمته لم تسكن بالعسيرة، فان الصبي كان شديد الإصغاء إليه سريع الوعى عنه، سريع التنفيذ لما يقول...

وانصرم الشتاء ليخلى بين الدنيا وبين فصلها الاثيرين الربيع فالصيف.. وكان والده يؤثر فى الصيف مكس الاسكندرية حيث يلتقى فى هذه الآونة من كل عام بصفيه خليل مطران...

(١) يقول كولنجوود R. G. collingwoob : إن الفنان يضع فى الصورة ألوانا لانلبث ان نجدها حالما نبصر الصورة. فهل هذا هوكل ما فعله، اعنى تلوين الصورة؟ كلا طبعاً، فهو عند ما كان يلونها كان يعيش تجربة نفسية تختلف تمام الاختلاف عن مجرد رؤية الألوان التى يضمها على اللوحة، كان يعيش تجربة خيالية تكشف عن نشاط كلى وتشبه فى كثير أو قليل ما نشيده لانفسنا عندما نتأمل لوحاته. فادا عرف كيف يصور، واذا عرفنا كيف ننظر الى الصورة فان التشابه بين التجربة الخيالية لديه وتجربتنا الخيالية التى تحصل لنا من تأمل عمله يوشك أن يكون تاماً. ومن هنا نستطيع ان نقول: إن التجربة التى تحصل لنا من مشاهدة هذا العمل لاتكون هبة تلقاها بقدر ما هى فعل نبذل الجهد فى انجازه. ومن هنا صح القول بان المتذوق يلزمه ان يبذل من الجهد مايكافى جهد الفنان،

النص منقول من كتاب (الاسس النفسية للإبداع الفنى) للأستاذ مصطفى

ولم يفت ناجي المفتوح العين دلالة الاختيار ، فسأل أباه عن سر غرام مطران بالمكس ... فأسر إليه الوالد الصديق إن (مطران) له قصيدة طويلة عند صخرة المكس ثم قرأ له قصيدته الخالدة « المساء » .

وطرب الصغير ناجي للقصيدة أيما طرب ... وسرعان ما طلب ديوان الخليل ليستزيد ... ولكنه نفذ ... ولم يبق منه إلا نسخة وقد أخذت مكانها بالفعل في مكتبة المرحوم عبد الهادي (باشا) فأعطاه ابن عمه هذه النسخة ، لا ليقرأها فحسب ولكن ليتعلم منها الشعر الجيد ... وهنا يتواضع ناجي فيقول : (واست أعلم إن كنت قد نفذت هذا الشرط ؟)

ومضى الغلام بالنسخة حفيا بها ، وانكب عليها حتى حفظها حفظا واعيا ... ثم تولت الأيام بدورها توثيق صلته بالخليل حتى صار يدعوها يا دعي ، ... وكانما عز على الأيام أن تتكلف عناء توثيق الصلات ، فأنست الناس خليل مطران حتى صاروا لا يذكرونه كثيرا في مغرب عمره .. ألم تمنحه مودة ناجي .. لها بعد هذا أن تسلب ما تشاء .. هذا هو منطقها ... أو على الأصح هو دستورها ...

* * *

اجتمع ناجي الذي تميزت شخصيته الآن بالشاعر الكبير في منزل صديق .. وكان مطران شاحب الوجه ، ضارع الجسم كسير القلب ، بادي العلة ولكن الذي كان يعضه أكثر من سواه « الجحود » ، جحود الذين أطربهم فشجاهم فكان جزاؤهم منهم « النسيان » ... النسيان في العمر الذي تتوج فيه أكاليل الغار مفارق حملة المشاعل في طريق الإنسانية ...

إن « ناجي » ، في مجلسه الآن يعتصر من أجل مطران ، ماذا تراه فاعلا ؟ أيسرى عنه ؟ وماذا وراء التسمية وما جدوى العزاء ؟ هل في بضع كلمات دواء الداء ؟ إذن ما أيسر ...

صه ! لقد لمعت في ذهن ناجي فكرة ... ولم يترث في الأخذ بها إذ انطلق ينشد شعر مطران من أوله ... فلا ينتهي من قصيدة إلا ليبدأ أخرى والحاضرون مأخوذون ... بجمال الشعر ، أوبروعة المفاجأة لست أدري ... ولكنهم مسمرون ... ولكنهم مهورون ... ولكنهم في صمت بليغ السكون لم يقطعه إلا نشيج مطران الذي بكى من فرط التأثر ، وأخذ يقبل ناجي وهو يقول في راحة المطمئن ورضا الآمن بعد خوف :

الآن أموت مسرورا ...

ولاء ... لا بل وفاء ... سم صنيعه ما شئت من أسماء ، ولكنه عندي إرهاب العبقريّة ، التي تزع الظهور ، وتمضي في التكوين .

* * *

ومن قرأهم ناجي وتأثر بهم « شكسبير » ، لقد كان يحفظ رواياته كلها بل كان يجيد تمثيلها وطالما حاضر عنه .

ومن طرائف ناجي أنه دعى مرة للمحاضرة عن شكسبير في المعهد البريطاني الذي كان في المنيا ... وحل الميعاد وهو ذاهل عنه ، ولكن عليه أن ينهض إلى الصعيد ... فركب القطار وأخذ يحاول الكتابة فلم يوفق إلا للنوم الذي غلبه ودفعه في سخرية الغالب أن يسطر حروفا لم يستطع هو نفسه حل رموزها فيما بعد ...

وقد تعجب إذا علمت أن ناجي الخالي من موضوع المحاضرة قد ذهب إلى المعهد المنتظر ... وحل موعد المحاضرة ! .

وتقدم رئيس النادى إليه طالبا نسخة مما سيقول .. وهنا جلله الخجل وقال له في صوت خفيض (عندي « بضعة أسطر ») ، وبهت الرجل وامتنع وجهه ، ولكنه ضبط نفسه ولم يندس بكلمة واحدة ...

واحتشد الجمهور الذى تدافع إلى المسكان فى سباق متلهف على سماع المحاضرة القيمة ، لقد أفلحت الدعاية الطنانة التى سبقت ركب ناجى إلى المنيا فى جذب الجموع الغفيرة ...

وامتلأت الصفوف ، وأتلعت الأعناق ، وأشرأبت الرؤوس إلى رئيس النادى ، وهو يقدم المحاضر العظيم الدكتور ابراهيم ناجى ...

أتدرى ماذا قال الرجل ؟ لقد ذكر الحقيقة كاملة ... لقد ذكر أن المحاضر نسى أن يعد المحاضرة وأنه حضر من القاهرة إلى المنيا ببضعة أسطر ... هل نلوم الرجل ؟ كلا ... أنقصره على الكذب ؟ أم نورطه فى وعد الجمهور بسماع ما لا أذن سمعت ؟ لو فعلنا لكننا ظالمين ...

وعرت ناجى دهشة حارمها ، ماذا يقول وكيف يتصرف ... أيعتذر؟ .. أنه عندئذ العذر الذى يصفونه بأنه كالذنب فى الحلقة أو أقيح ... أيرتجل؟ .. إنه الارتجال غير المقصود من صاحبه ، وغـير المؤلف له فى هذا الجو المشحون الذى لا يعين عليه ...

لم يبق إلا أن يزعم ناجى للحاضرين أنه نعلم ألا يكتب عن شكسبير ، لأنه ليس بحاجة إلى الكتابة عنه بعد أن عاش معه فى كتبه زمنا ليس باليسير . فكيف يتحدث عنه من ورقة؟ .. لباقه بلا شك ... أليس كذلك ؟

ومن الغريب أن (ناجى) صدق زعمه ونسى نفسه ، وأخذ يتحدث ويفيض وكأنه يغترف من نهر ، وسحر بما صار إليه ، فلا هو يتوقف ولا الكلام يغيض ...

تعال معى إلى الصفوف المتواكبة ... ألا ترى السامعين يكادون يحبسون أنفاسهم حتى لا تفوتهم كلمة ؟ ولكن دعهم وانظر إلى ذلك الذى يخلق إلى المحاضر فى ذهول عجيب ، ألا تعرفه ؟ إنه رئيس النادى الذى قدم (ناجى)

منذ ساعة كاسفا آسفا، وإن دارى ... ولكن حسبه أن يقول : إن المحاضر
نسى المحاضرة ولم يكتب إلا بضعة أسطر ... لتفهم الحقيقة كلها ...

على أى حال إن الرجل الآن لا يكاد يصدق ...

واسترسل ناجى حتى أوفى ، فاذا بالتصفيق يدوى فى المكان كله ،
وإذا بالرئيس المذهول يثب إلى المسرح ويضم (ناجى) وبقبله ويطرى :
« المصرى الذى يعرف شكسبير كل هذه المعرفة ، ..

... ..

أما قصة (التليد) للكاتب الفرنسى بورجيه فلها قصة ساعد ناجى يرويها
لك حتى لا يفوتك ما فى طريقته من إطراف .

(ملخص الموضوع أنى كنت أعرف الانجائزية فقط لأن القسم العلمى
فى التعليم الثانوى لا يعلم الفرنسية ، ولكن ما حيلنى وأنا مضطر ، للتفاهم
بالفرنسية مع أعز مخلوقة فى الوجود ! وهى لا تعرف غير الفرنسية ، وهى
لا تحب غير بورجيه ، وتعتقد أن قصة (التليد) قصة خالدة ... وتتمنى
لو قرأناها معاً بالفرنسية !

أمنية عزيزة ، ولكن ما السبيل إلى ذلك ؟ على أن أنعم بسرعة ،
وأقرأها معها بسرعة ، وإلا فات الوقت !

است أعرف فى تاريخ الضرورات ، أغرب من هذه الحكاية ... قلت
لنفسى : أتعلم كما يتعلم الطفل ... أحفظ الكلمات ، ثم أنعم ربطها ، ثم أتكلم ،
كلمات أولا ، ثم جملا ... وهذا هو الذى حدث ... فى الشهر الأول أخذت
أحفظ كلمات فرنسية ... وأتعم نطقها من قاموس خاص بالنطق ، ثلاثين
كلمة كل يوم . بعد شهر كان محصولى ألف كلمة ... أحفظها حفظا تاما .

وفى الشهر الثانى أخذت أقرأ (آجرومية) اللغة وأربط الكلمات الى

أعرفها ببعضها ، وفي الشهر الثالث أخذت أحاول تطبيق هذا على قصة (التليذ) في المحاولة الأولى لقراءتها ولم أنهم شيئاً ، وفي القراءة الثانية فهمت قليلاً ، وفي الثالثة فهمت أكثر ، وفي الرابعة ازداد فهمي لها ... وفي المرة الثامنة فهمتها تماماً ...

وعدت إلى صديقتي ، فقرأت معها قصة التليذ لبورجيه وهي لا تنكاد تصدق ! (١)

لقد طغى حب الأدب على ناجي حتى غلب في نفسه على سائر الميول الأخرى فما عدا عما بدا ؟ ما الذي حدا به إلى الطب ؟ ... هنا فقط أترك لشاعرنا الحديث ...

« كانت نزعتي للأدب طاغية ، وكنت أعد نفسي لمستقبل أدبي ، ولم يكن عندي أية فكرة عن الناحية العلمية الرياضية ، غير أن الأقدار تلعب دورها بدون أن نعلم ... ففي السنة التي قررت فيها أن التحق بالقسم الأدبي أرسل الله لنا معلماً سورياً ، لم يكبد ينظر إلىّ حتى توسم في شيئاً لا أعلمه جعله يؤمن بأنني قد أكون نابغة في الرياضة ، فوجه اهتماماً إلىّ ، وكان قاميساً جداً ، إذ كان يضربني ويشتمني وكثيراً ما دخل الفصل وهو ثمل ثم أخذ يبسط هذا الظل بالضرب و « التريقة » والشتم واللعن ، وأنا صابر لا أنفوه بكلمة ، وكان رحمه الله طيب القلب يخفي خلف هذه القسوة نفساً من الذهب ، فكان يلاطفني بعد قسوته ، ويمد يده إلى (بواجبات) خاصة منه لي ... ثم يعود في اليوم الثاني فيسألني في خشمونه ، هل عملت الواجبات ، فلم أخيب ظنه مرة واحدة ... وقد كان تقدمي سريعاً ، جعله يزهو ويفخر بي ... ثم أخذت قسوته تختفي وهو يقول « اطلع يا ناجي اشرح لهم التمرين ،

لقد كان تأثير هذا المعلم في مستقبلتي كبيراً فقد غيرت التحاقى بالقسم

(١) من مقال للدكتور ناجي عن تاريخ حياته

الأدبي ، والتحققت بالقسم العلمي ، ولتقدمي وتفوقي في الرياضة دخلت كلية الطب لأنني كنت من المتقدمين^(١) .

وازداد ناجي مع الأيام قراءة واطلاعا وتوسع فيهما ، حتى تجاوز كتب الأدب والطب إلى المذاهب الفلسفية والسياسية وعلم النفس ... ولعل قراءة واحدة لكتابه (رسالة الحياة) تؤيد هذا عندك .

ولما تخطى ناجي مرحلة الاختبار ، وحان الموعد ليجني الناس من الأديب الطبيب ما فيه شفاء وما فيه دواء ، أمسك بقلبه نفيسا كهبضه و سطر الشعر ، وديج النثر ، وسرد القصة وأعد البحث ، ولكن الشاعر في ناجي غلب على النثر والباحث والقصاص ... فهل قوم للشاعر ولاذ قوم بالطبيب ، وقال التاريخ : شاعر الطب وطبيب الأرواح ... فهنيئاً له وسلام عليه في الخالدين ...

(١) من مقال للدكتور ناجي بعنوان : كتب أثرت في حياتي ، الجمهور المصري

ناجى الشاعر

هو شاعر حتى فى الاسماء ... (وراء الغمام) ، (ليالى القاهرة) ...
أسماء زاخرة حافلة فيها غموض وظلال وسحر مكنون وإيحاء ورمزية
شفافة ... ترى ماذا وراء الغمام؟ وماذا فى ليالى القاهرة؟ ان الاسم الأول
يشير فضولى والاسم الثانى يدعو للطرب وللسمر وللفن ...

لقد تساءل الأستاذ الصاوى وهو يصدر لديوان ناجى الأول (وراء
الغمام) : كيف يجرؤ الناثر على وصف الشاعر؟ وكيف توصف الموسيقى
بالكلام؟ وكيف يعبر بالحروف عن الأحلام؟ ...

ولكنى رغم هذا لا أنهيب وسأصف «ناجى» الشاعر الموسيقى الحالم ...
أو بالأحرى سأستشفه من شعره ... سأبحث عنه فى ديوانه ... (وراء
الغمام) و (ليالى القاهرة)

نحن الآن أمام إهداء الديوان الأول (وراء الغمام) .. ومنه :

أنت وحى العبقريّة وجلال الأبدية
أنت لحن الخلد والرحمة فى أرض شقية
إن يكن قد شق الماضى فما أهنا البقية
بت تسقى فتسبى أوجاعى العصىّة

لعلك تشعر معى أننا مقبلون على ديوان شجى وشاعر حزين ...
ومتى كان هذا؟ فى سنة ١٩٣٤ أى فى طور الشباب ...

ياهم قلبى فى صبا أيامه وسهاد عيني فى الليالى الأولى (١)

(١) الدكتور ناجى . ديوان (وراء الغمام) ص ٦ قصيدة المآب

أين ناديك وأين السمر أين أهلك بساطا وندامى
كلما أرسلت عيني تنظر وثب الدمع إلى عيني وغاما^(١)

عانى ناجى الوحدة القاتلة بأمانها الضائعة . وذكرها الحزينة ، وهو شاعر
له ظمأ يشتهي الرى فلا ينال ، فيعيش على الأمل الناهب لما يعز عليه النسيان :

يا وحدتى جئت كى أنسى وهما أنذا مازلت أسمع أصدا وأصواتا
مهما تصامت عنها فهى هاتفة يا أيها الهارب المسكين هياتا
تلفت القلب مطعوناً لوحده وأين وحدته ؟ باتت كما بانا
حتى إذا لم يجد ربا ولا شعبا أفضى إلى الأمل المعطوب فاقطانا^(٢)

وهو لا يفك من وحدته ووحشته حتى تطغى فتغمره من جديد :

لذعتنى دمة تلفح خدى نهتني من ضلال ليس يجدى
واختفت تلك الروى عن ناظرى وطواها الغيب فى سحرى برد
وتلفت فلا أنت ولا جنة الخلد ولا أطياف سعد
وإذا ب غارق فى محنتى وبلاى ، أقطع الأيام وحدى^(٣)
وهو متفرز كثير الأهام :

أأنت ناديت أم صوت يخيل لى فى اليك بأذن الوهم إصغاء
لبيك لو عند روحى ما تطير به وكيف ينهض بالمجروح إعياء^(٤)
أتعرف بما قاسى ناجى أيضا ؟ سأتركك معه ليبتك شكواه ، ها هو
ذا يفضى اليك :

-
- (١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٩ قصيدة العودة
(٢) د د د د ص ١٨٨-١٨٩ أصوات الوحدة
(٣) د د د د ص ١٠١ قصيدة الغد
(٤) د د د د ديوان ليالى القاهرة ص ٩٧ قصيدة السراب على البحر

لقيت ضنكا من الليالى فن غمار إلى غمار
قد طال عتي على الليالى وطال للراحم انتظاري^(١)

وهو مسرور ومن خطابه إلى من يحب :

اقبل اذقني ما اليقين وهاته خلوا من الآلام والأوصاب
اقبل لأقسم في حياتي مرة أن الذى أسقاه ليس بصاب
لطفى على هذا اليقين وطعمه بقمى وتكذبي شهبى شرابى^(٢)

حتى كائن النعيم يريد عليه قسما ليقن أنه حلولا مرفيه ...

هل كان مسرورا إلى هذا الحد ؟ أكاد لأصدق من إشفاق ... ولكن
كيف وهو يؤكد أنه لا يستسيغ في دنياه شيئا :

كل شيء صار مرا في فمى بعد ما أصبحت بالدنيا عليما
آه من يأخذ عمرى كله ويعيد الطفل والجهل القديم^(٣)

إن الرجل لا يصرخ هذه الصرخة إلا أن تكون قد كشفت له عن
حقائق مرة غص بها ...

ترى لم ضاق ذرعا بالحياة والأحياء ؟ إنه يقول :

مللت في هاته العوالم مهزلة الموت والحياة
وصورة القيد في المعاصم ووصمة الذل في الحياة
هياكل تعبر السنين واحدة العيش والنظام
واحدة السخط والآنين واحدة الحقد والخصام^(٤)

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ١٦٣ قصيدة في منزل الشاعر

(٢) د . د . ورا . الغمام ص ٨٢ قصيدة الشك

(٣) د . د . ص ٥٥-٥٥ قصيدة الوداع

(٤) د . د . ص ٦٢-٦٣ قصيدة الليالى

رأيت حياتنا . كم من غريب على جنبيه بالإعياء مالا
وكم من سائل لم يلق ردا وقد سأل الهواجر والرمالا
فان تجب القفار عليه يوما ترد له سوافها السؤالا
أقافلة الحياة أريتنها خيالا أو ضلالا أو محالا^(١)

وهناك داء قتال كان يعانى منه ناجى وهو بلا ريب من دواعى تبرمه
وتشاؤمه ومراراته ... ذلك هو (الظلم) ... والظلم أشد قسوة على
الحساس المرهف الشاعر بنفسه ذى الإباء .

قد تغشاني ظلام لا أرى فيه مغداى ولا منقلى
صامدا للظلم والظلم له معول يهدمنى عن كشب
وأنا أدفعه عن منكبى ييدى حتى تهاوى منكبى
وتماسكت فلم يبق سوى كبرياء هى درع للاثى

إنى أحنو عليه هنا وأقدر موقفه وهو من طول ما بلى بالدنيا وقاسى من
حاضرها ، لا يرجو مغيبها وما له بطمع فى غدها ويومها لا تراه عينه إلا
كاليا مرنقا ...

التقى بحبيبه فأخذ يستحثه بحلا على إسعاده قبل أن تولى الفرصة بأفول
العمر ... ألا تلمح لهفته فى قوله :

هات أسعدنى ودعنى أسعدك قد دنا بعد التثنائى موردك
وابلائى من ليلالى التى قربت حينى وراحت تبعذك
لا تدعنى لليلالى فغدا تجرح الفرقة ما تأسويدك^(٢)

إنه يتوجس خيفة من الغد شأن الحساسين متفرزى الأعصاب ...

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ١٨٣ - ١٨٤ قصيدة القافلة الصغيرة

(٢) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٥٦ - ٥٧ قصيدة الوداع .

وليس هذا فحسب ، بل إنه سوء الظن بالأيام يتوهم أن القدر موكل به فإذا ظفر بمأمول تلفت إليه قلبه متسائلا :

قال لى القلب : أحقا ما بلغنا ؟ كيف نام القدر الساهر عنا ؟
أتراها خدعة حاقت بنا ؟ أتراها ظنة بما ظننا ؟ (١)
وهو يصيح بكل من يمينه بغد :

لا تقل لي في غد موعدنا فالغد الموعود نام كالنجوم (٢)
إنه ليس متفائلا...

ويعزو الأستاذ إبراهيم المصرى تشاؤم ناجى إلى شدة إحساسه بالعواطف الرقيقة (التى تضاعف شعوره بالآلم عند ما يعترض طريقه مشهد مؤثر أو فاجعة رهيبة ، أو مجرد سماع إنسان يشكو أو آخر يستجدى أو ثالث يتظاهر بالسعادة وفى عينيه أثر مجاهدة الدموع ..) (٣)

وهو قدرى يتأمل ويتطوح به التفكير فمتساءل :

ولام تدفعنا الحوادث في عباب يلتطم
دفعتم بمركبنا المقادير الخفية والنسم
خرجت وماتدرى النواة بأى صخر ترتطم
بدأت على ربح الرضا والله يدرى المحتم (٤)

وهو ملول بطبعه . . . يحسب من ضيقه أن عقارب الساعة لا تنفرج إلا لترجع إلى الوراء .

(١) الدكتور ناجي . ديوان وراء الغمام ص ٩٩ قصيدة الغد

८१५० , , , (२)

(۳) کتاب (صوت الجیل) الاستاذ ابراهیم المصری ص ۱۴۱

(٤) ديوان وراء الغمام ص ٧٧ قصيدة ليالى الارق

ياليلى العمر ما سر الليالى البطيئات المملات الطوال
مسرات مبهطات ولها خفة الموت وأنقال الجبال
كاسفات البال عرجاء المنى عاثرات الحظ شوهاه الظلال
عجبا للعمر يمضى مسرعا لهنايا بسلفاة الملل^(١)

أهكذا كانت أيامه ؟ إنها كذلك . . . ولا تحتج عندى بضحكه فانه
ضحك كالبكا ، ألم يقل :

طالما موته بالضحك فما غير التويه رأيا لك فيا
كلما تنظر فى عينى ترى سرى الخافى ومعناى الخفيا
وترى فى عمق روحى زهرة قد سقاها الحزن دمعا أبديا
ويراه الناس طلا ، وترى أنت دمعا غائما فى مقلتي

هكذا كان ناجى وتلك كانت حقيقته

وهو حالك اليأس ، يأس فلا تلوح له بارقة من نور الامل ، حتى ليتمنى
الموت :

أصبحت من يأسى لو أن الردى يهتف بى ، صحت به هيا
هيا فما فى الأرض لى مطمع ولا أرى لى بعدها شيا
ما ذا بقائى ها هنا بعد ما نفضت منه اليوم كفيا^(٢)

وتصبح به من رحمتك : علام الموت ؟ فيعجب لك كما تعجب له
ويسألك بدوره :

ما يصنع الأبرار بالأرض التى ساوت من الأبرار والاشاب
دوارة أبد السنين كعهدا من ليل آثام لصبح متاب

(١) الدكتور ناجى ديوان (وراء الغمام) ص ٢٠٨ قصيدة الخريف

(٢) الدكتور ناجى ديوان (ليالى القاهرة) ص ٥٨ قصيدة يأس على كاس

وددت ألقى بها لمائك لعلها فيك تبرد^(١)
يبدو أن جذوته استعصت على ماء الهر ... ولكنه قلق بين ماض
دام يرهقه وحاضر قاس يؤرقه :

ماض وكم فيه من عثار ومن عذاب قد انقضى
كم قلت لا يرفع الستار ولا ادكار لما مضى^(٢)

ها هو ذا خاطر جديد يلوح له ... ليتجه إلى البحر ... تعال معي إلى
الشاطئ ... أرهف السمع .. إنه يناجيه مناجاة شاعر ويهمس إليه همساً
فيه شاعرية وحساسية ورفيف ... إني أحس أنه تخفف من أعبائه حين
أسمع منه :

وجعلت النسيم زادا لروحي وشربت الظلال والأضواء
لكأن الأضواء مختلفات جعلت منك روضة غناء
مر بي عطرها فأسكر نفسي وسرى في جوانحي كيف شاء^(٣)

إنه شاعر ملهم ذلك الذي يعود إلى الطبيعة نبع الجمال والسحر يعب منها
فإذا الرشيف ظلال وأضواء وعطر وشعر ... إنه هنا عصفور طليق حط
على غدير يحسو منه في هناءة الخلي ...

كدت أحمد للبحر العظيم فضله على شاعرنا ، لولا أني سمعته من جديد
يقول :

نشوة لم تطل ! صحا القلب منها مثل ما كان أو أشد غناء
إنما يفهم الشبيهه شبيها أيها البحر . نحن لسنا سواء

(١) الدكتور ناجي . ديوان (وراء الغمام) ص ٦٨ قصيدة الليالي

(٢) د (وراء الغمام) ص ٦٩ د

(٣) د (وراء الغمام) ص ٨٥ قصيدة : خواطر الغروب

أنت باق ونحن حرب الليالي مزقتنا وصيرتنا هباء
أنت عات ونحن كالزبد الذائب هب يعملو حيناً ويمضي جفاء
وعجيب إليك يمت وجهي اذ مللت الحياة والأحياء
أبتغي عندك التأسى وما تم لك رداً ولا تجيب نداء^(١)
إن لواءه لا تهدأ ، وهمومه لا تفتر ، حتى البحر يغمره عجز عن غسل
هذه الهموم .

إذن لا مطمح له في الأرض ... ليشرئب إلى القمر ... لعله أحنى
ذلك الوضاء الجليل :

قمر الأمانى يا قمر إني بهم مسقم
أنت الشفاء المدخر فامسك ضيائك في دمي
أفرغ خلودك في الشباب واخلع على قلبي الصفاء
أسفا لعمر كالحباب والكأس فائضة شقاء^(٢)

.. وما إن رآه يمضي وراء سحابة تحنو عليه وتلمسه حتى صرخ في ضراعة مكروبة :

خذني إليك ونجني مما أعانى في الثرى
قدحى ترنق فاستقنى قدح الشعاع مطهرا^(٣)

فلما لم يجد سميعاً من الليل والنهر والبحر والقمر ، لاذ بحمى النيل الوالد
كما لاذ به قبله في القدم أباء وأجداد :

أقبلت للنيل المبارك شاكياً زمنى وقد كثرت على همومي
ومسحت كفى والجبين بمائه على أهديء ثورة المحموم

(١) الدكتور ناجي ديوان وراء الغمام ص ٨٦ من قصيدة خواطر القروب

(٢) الدكتور ناجي . ديوان وراء الغمام ص ١٤٦ قصيدة استقبال القمر

(٣) المرجع نفسه ص ١٤٧ من القصيدة نفسها

وجلست أنثر جمعة معمورة بالذكريات جديدها وقديم^(١)
وقد تهادنه الأيام حينما فتحسن إليه بعود حميد، ورد غائب فيرسل اللحن جذلا:
عادت لظاثرها الذي غناها وشدا فهاج حنينها وشجها
أى الحظوظ أعادها لوفها ونجى وحدتها وإلف صباها
مشبوبة التحنان تكتم نارها عبثا وتأبى أن يبين لظاها
يا ألنى المعبود شرك ذائع نار الحنين دفينها أفشاها^(٢)
حتى إذا اطمأن إلى زمانه استرد ما وهب، وسلب ما أعطى، فهل يلام ناجى
إذا أن:

ماذا لقينا من لقاء خاطف وعشية كالبرق حان ضحاها
يا ويح هاتيك الثواني لم تقف حتى نسيغ هناءة ذقناها
حتى يمتع باليقين مكذب عينيه في رؤيا يضل سناها
تمضى لها الأبصار مشعلة الهوى وتحول عنها ما تطيق لقائها^(٣)
إن الأمانى تلاقيه بقدر معلوم وتنصرم وقد استحال الظمأ أواما ...
ولكنه ظمأ خالق، وحرمان مبدع، ذلك الذى يوحى إليه:

لم ترو منك نواظرى وخواطرى ورجعت أزكى مهجة وشفاهها
ما أعذب رى الخواطر ...

مد الخريف على الرياض رواقه ومضى الربيع الطلق ما يغشاها
ما بالرياض؟ كآبة فى أرضها وسحابة تغشى أديم سماها
جمدت حمام أيكها وأنا الذى شاكيها فاغرو رقت عينها^(٤)

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٦٥ كبريا.

(٢) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٩٢ قصيدة رجوع الغريب

(٣) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٩٤ و ٩٣ قصيدة رجوع الغريب

ترى ماحيلته لاسلوى إلا أن يعمل نفسه بالآوهام :

هات قيثارى ودعنى للخيال واسقنى ألهم ! وعلل بالمحال
ودع الصدق لمن ينشده الحجبى خصمى فاغمر بالضلال
وخذ الانوار عنى ، ربما أجد الرحمة فى جوف الليالى
خلنى بالشموق استندنى غدا فغدا عندى كآباد طوال^(١)

وطبيعى أن يززع هذا كله يقينه ويورثه الشك حتى فى الواقع
المللموس ... عاودته مرة ذكرى لقاء فلم يصدق نفسه ، وخال من أوهامه
الحقيقة التى وقعت حلما عابرا ووهما كاذبا :

أحقا كنت فى قربى لعلى واهم وهما
تكلم سيد القلب وقل لى : لم يكن حلما^(٢)

وهو على فيض أساه ، وطول شكواه حمول صبور متعجل ...
يستقبل العائد فيهتف :

سلام على غائب عن عيوني حملت خطاى إلى داره
وقلت لقلبي تمهل بنا وخبيء شقاءك أو داره
تناسى الأنسى هاهنا أو يقال حملت الظلام لآنواره
أنغدو إلى عتبات النعيم بلفح الجحيم وإعصاره^(٣)

وهو على حرمانه لا ينفس على واحد مجدا ، ولكنه يغبط النابغ ويذكر
نبوغه ويحامل ويكرم ويوفى الأحياء والاموات ... وسيأتى ذكر هذا فى
حديثى عن شعر المناسبات .

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٠٢ قصيدة الغد

(٢) الدكتور ناجى . ديوان (وراء الغمام) ص ١١٨ قصيدة صلاة الحب

(٣) الدكتور ناجى . ديوان (ليالى القاهرة) ص ٢٢٣-٢٢٤ قصيدة ليالى القاهرة ...

وهو ذو كبرياء... يلقى من أيامه نصبا فيكابر ويقول :

يادهر لم أشك الكلال ولا ملكت خطوب الدهر إرهابا
عذبت أياي بعفتها وقتلتها بصفاء أخلاقى^(١)

أما عفته وصفاء أخلاقه فما لا ينكره عليه أحد أما الشكوى فقد
شكا وبكى، بل لقد أردف النفي بالاثبات في نفس القصيدة... أو ليست
هذه شكوى.

يا كم غرست وكم سقيت وكم نضرت من زهر وأوراق
ما حيلنى والأرض مجدبة سيان إقلالى وإغداق
أين الذين رفعت فأنحدروا وبنيتم بنيان خلاق^(٢)
ألا تشي هذه الآيات بحسرتة، بتفجعه ؟

إن كنت لم أغنم فقد ظفرا منى بمغفرى وإشفاق
ألا ما أحوجه إلى الإشفاق وما أجدره بالثناء... على أن مغفرته
قول شاعر، أما الإنسان الجريح فهذا رأيه :

لكننى والجرح يلهب لى حسى ويكوى كى إحراق
هيهات أنسى انهم عبثوا ووفيت لم أعبت بميثاقى^(٣)
ولكنه لا يضر البغض لأحد وكيف وهو داعية إلى الحب والسماحة :

تفرق الناس حول الشط واجتمعوا لهم به صخب عال وضوضاء
وأخرون كسالى فى أما كنهم كأنهم فى رمال الشط أنضاء
هم الورى قبل إفساد الزمان لهم وقبل أن تتحدى الحب بغضاء

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٧٥ قصيدة شكوى الزمن

(٢) و(٣) ص ٦٦ قصيدة شكوى الزمن

ضائق نفوس بأحقاد ولوسلت فاتها كسواء البحر روحاء (١)
فلما انفض الناس من حوله لا يبالون بدعوته لاذ بحبيبه متعزيا :
مالى بهم ، أنت لى الدنيا بأجمعها وما وعى ولقلبي منك اغناء
وهنا يصفو ناجى ويرق وتجود شاعريته بمثل :

إذا نطقت فما بالقول منتفع وإن سكنت فان الصمت إفشاء
وأيا لفظة فالريح ناقله والشط حاك لها والأفق أصداء
ياليل ! من علم الأطياف قصتنا وكيف تدرى الصبا أنا أحباء (٢)
والحب عنده ليس حب الهوى فحسب . . . ولكن حب الوطن وحب
الإنسانية جمعاء . . .

وحب ناجى لوطنه - إن احتاج حب الوطن إلى دليل - يتمثل فى إشادته
به ، ويتمثل فى دموعه التى سكبها فى أتراحه ، وأغانيه التى أرسلها
فى أفراحه . . .

إن مصر أثيرة عند ناجى أحسنت أم أساءت . . . لقد خرج يوما منها
مريضا ، ورجع إليها مكسور الساق يحمل عكازتين ، فلما أشرفت السفينة
على بور سعيد هال ناجى : رفاقى . . . تلك مصر يارفاقى . .

هتفت وقد بدت مصر لعينى رفاقى ! تلك مصر يارفاقى
أندفعنى وقد هاضت جناحى وتجذبى وقد شددت وثاقى
خرجت من الديار أجرهمى وعدت إلى الديار أجر ساقى (٣)
ومن هتاف الوطنية على لسان ناجى هذا البيت النابض فى وصف النصور المصرية

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٩٧ قصيدة السراب على البحر

(٢) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٩٨ قصيدة السراب على البحر

(٣) ص ٧٣ قصيدة المآب

وهلّل السنين إذ هلت طلائعنا طلائع المجد من أبناء وادينا
إلى الملح اعتزازه بمصر ووجده بها في تشبيهه بالانتساب إليها في إضافته
إلى الضمير «نا» (طلائعنا - وادينا) .

وهاضت الأجنحة المحلقة واحترقت فذرف ناجي الدموع ... ذرفها
عن ضعف المنكوب وإن سلم شخصه على الأذى ، الشاعر بالمصيبة وإن
لم تمس منه الجسم . ولكن قطعة من وطني تتلظى فيحس قلبه لفح النار ،
ولكن أخوة له في الوطن يقضون فيبكي قلبه المصري لخاودما ، المصري
أملا وهوى ، يبكي قلبه وتبكي عينه ويبكي شعره من أجلهم ، ومن أجل
مصر الأم .

يا أمتي كم دموع في مآقينا نبكي شهيدك أم نبكي أمانينا
يا أمتي إن بسكيننا اليوم معذرة في الضعف، بعض المأسى فوق أيدينا^(١)
إن شاعرنا مواطن صادق ، كبير الألم ... كبير العاطفة .

وعلى حبه لوطنه ، ضاق صدره مرة ، فقال وهو يصف الليل في فينيسيا
يارب ما أعجب هندي البلاد لا ليل فيها ! كل ليل صباح
وكل وجه في حماها ضام ومصر لا تنبت إلا الجراح^(٢)
ولكني لأحسب هذا دما . إنه أشبه بالعتاب منه بالذم ... لقد كان
في ذلك الوقت متأثرا من حملة النقد التي أثارها عليه الأدباء على إثر ظهور
ديوانه (وراء الغمام) ، فهو في هذين البيتين يتحسس جرحه .

وفي ناجي وفاء للصديق ... رأى رفيقا من رفاق صباه عليلا محمولا
بعد غربة طويلة فارتاع :

(١) الدكتور ناجي . ديوان وراء الغمام ص ١٨٤ قصيدة الأجنحة المحترقة

(٢) الدكتور ناجي . ديوان ليالي القاهرة ص ٨٣ قصيدة الليل في فينيسيا

لمن العيون الفاترات ذبولا ومن الخيال موسدا محمولا
ياهم قلبي في صبا أيامه وسهاد عيني في الليالي الأولى
عيناي كذبتا وقلبي لم يدع دقاته شكا ولا تأويلا
وبكيت من يأس عليك فلم أذر عند المحاجر مدمعا مبدولا^(١)

على أن (ناجي) يعتقد أن الدموع تجف سريعا ومن ثم فهي لا طائل
تحنها ولا جدوى فيها... ولكنه يجود بها في المآسى كما يفعل كل حزين .
هنية ثم يسلو الدمع ساكبه لا يدفع الدمع شيئا من عوادينا^(٢)
وتستطيع أن تستشف من شعر ناجي غير هذا... تواضعه... إن
شاعرنا ليس من فريق أبي الطيب الذي يمدح فيقول :

أجزني إذا أنشدت شعرا فانما بشعري أذاك المادحون مرددا
وما الدهر إلا من رواة قصاندي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
ولكنه من طراز آخر... مصقول... حي... مدح ناجي زميله
الاستاذ دسوقي أباطة فقال :

دسوقي إذا أقلت فاقبل تحيتي فما أنا شادهم ولا خيرهم أنا
ولكنني صوت المحبين كلهم ومن روضك الغالي وبستانهم جنى^(٣)
وقد سنع في قصيدة (في الظلام) بيت افتخر فيه ناجي بنفسه كالشعراء ،
ولكنه مثال فرد أحسب أن القافية تحكمت فكان... والبيت :

أيا مصر ما فيك العشية سامر ولا فيك من مصغ لشاعرك الفرد^(٤)

(١) الدكتور ناجي . ديوان وراء الغمام ص ٨ قصيدة المآب

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٦ قصيدة الأجنحة المخرفة

(٣) الدكتور ناجي . ديوان ليالي القاهرة ص ١٥٥

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢ قصيدة في الظلام

وهو على تواضعه وتزكياته لأعجاز الغير ، على الهمة لا يخضع لغير الله :
إني لأحمل جمعتي متحدية زمني بها وحواسدي وخصومي
أخني لعرش الله رأسا ما انحنى بالذل يوما في رحاب عظيم^(١)

.....

ويطيب لنا جى أحيانا أن ينظم الحكم كقوله :
قد صار حب الحياة منا يقنع بالجيفة السباع
وعلم السمح أن يضنا وثبت الجبن في الطباع^(٢)
وحكمته على صدقها لا تترك التأثير المنشود لأنه ليس شاعرها ولكنه
شاعر الغزل وشادى الأيك ..

.....

ومن غرائب ناجى قوله :
كم صحت والعين تذرى الدمع في أسف على الجواهر في كف الردى العادى
ألا رقى للباطلين تحفظهم على الحوادث من أنظار حساد^(٣)
رقى والنظرة والحسد ! ... وهذا القول من طيب يدخل عندي في
باب الطرافة لولا أن المقام مقام عزاء ...

.....

وناجى مداعب فكك عذب الروح ... ومن طرائفه يداعب صديقا
شاعرا جمعه به وليمة :

بهرت به والصحن بالصحن يلتقى فلم أر أبهى من غنيم وأظرفا

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٦٦ قصيدة كبرياء

(٢) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٦١ قصيدة الليالى

(٣) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ١٦١

ترأى له لحم فلم يدر عنده تديك من بعد الطوى أم تخرفا
وأوما لى ، باللاحظ يسألنى به أتعرفه ؟ أو مات باللاحظ مسعفا
وقدمته للديك وهو كأنما يطير إليه واثبا متلهفا
غنيم أخوناالديك قدمت ذا لذا فمذا لهذا بعد لآى تعرفا
وما هى إلا لحظة وتغازلا وقد رفعا بعد السلام التكلفا
فقال على الورك الشهى ممزقا ومال على الصدر النظيف منظفا
جزى الله أسنانا هناك عتيقة ظلن على الصحن الأباطى عكفا (١)

وما دمت مسترسلا فى الضحك فاسمع :

تعبير ناجى بالردنجوت جاءه معارا فغامر واستعر أنت معطفا
وأقسم لو أن الردنجوت نلته وجاد به من جاد كرها وسلفا
لقلبته ظهرا لبطن محيرا به تحسبن الوجه من عبط قفا
رأيتك والعدس الأباطى قادم كما انتفض المحموم بشر بالشفافا
وناهيك بالعدس الأباطى منظر عظيم كما هيأت للعين متحفافا
على أنه ما جاء حتى رأيت توارى كطيف لاح فى الحلم واختفى
فله من لفظ بيطنك راسب قير ومعناه برأسك قد طفا (٢)

وهو ساخر حتى من نفسه . . . اعترى فى قصيدة بآبائه ومثل هذا الحديث
يجد فيه صاحبه ويصطنع الشموخ أو يأخذ سمته ، ولكن ناجى السخر السهل
غلبته طبيعته البسيطة فقال :

قد عاش وهو معذب بآبائه ولقد يلاقى يومه مستكبرا (٣)
إن الذى يسلم الروح أغلى ما فى الوجود مقسور مغلوب على أمره فاقد

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠١ - ٢٠٢

(٣) المصدر نفسه ص ٨٩ قصيدة عذاب

الحيلة . . . إن البيت ، دعا به ساخر ، وسخرية ممرور .

وناجي يعرف أن الناس يرونها اجتماع الفن والعلم لاختلاف الطبيعتين ،
وهو هنا يرد على السؤال الحائر (طب وشعر كيف يتفقان) ؟

والناس تسأل والهواجس حمة طب وشعر كيف يتفقان
الشعر مرحمة الجسوم وسره هبة السماء ومنحة الديان
والطب مرحمة الجسوم ونبعه من ذلك الفيض العلى الشان
ومن الغمام ومن معين خلقه يجدان إلهاما ويستقيان^(١)
هنيئاً له . . . لقد اجتمعت له الرحمتان . . الشعر والطب .

.....

ترى هل استكملنا شخصيته ؟ هل وضحت صورته عندك ؟ احسب
أن هناك خطأ لم يمتد به الحديث إلى مداه وهو خط العاطفة . . وعاطفة
ناجي تمثل الجانب المشرق منه . . . إنه شاعر الجمال والحب ومن ثم فغزله
خليق أن نفرده فصلاً مستقلاً . . . ولو أن عاطفته جزء من شخصيته التي
تتلمسها في هذا الفصل وكان يمكن للكلام عن محابه أن يتصل هنا . . . ولكن
حديث حبه طويل ذو فنون وهو غالب على شعره . . . فمن حقه أن نقف
عنده وقفة خاصة . . . فهيا إلى . . . "شاعر الغزل ،



(١) الدكتور ناجي . ديوان ليالى القاهرة ص ١٩٥ - ١٩٦ خمر الرضا

شاعر الغزل

الغزل نشيد الحب .. والحب .. ما هو ؟ هل قرأت قصته ؟ إن
(ناجى) يقول :

منا له دمع على حواء	هى قصة الدنيا ، وكم من آدم
نزع الإباء وباح بالبرحاء	كل به قيس إذا جن الدجى
مع فى الفؤاد وظن فى السعداء	فاذا تداركه النهار طوى المدا
خياته عبث ومحض هباء	كل له (ليلي) ومن لم يلقها
سر الدنى وحقيقة الأشياء	كل له (ليلي) يرى فى حبها
ويرى السعادة فى أتم شقاء	ويرى الأمانى فى سعي غرامها
مد حنانها والخلد يوم لقاء ^(١)	الكون فى إحسانها والعمر عنة

ونا جى يرى فى الحب متنفسه :

نضبت رحمة الوجود جميعا وبك الرحمة التى ليس تنضب
وإذا ضاقت السماء بشجوى فالسما التى بعينيك أرحب
كم تمنيت والصدور تجافيني وتزور والوجوه تقطب
كم تمنيت صدرك البر يرتاح على خفقه الطريد المعذب
هات وسدنى الحنان عليه جسدى متعب وروحي متعب^(٢)

(جسدى متعب وروحي متعب) (نضبت رحمة الوجود جميعا وبك)

(١) الدكتور ناجى ، ديوان وراء الغمام ص ١٨٢ و ١٨٣ قصيدة دين الاحياء

(٢) (ليالى القاهرة) ص ١٩٤ د خمر الرضا

الرحمة التي ليس تنضب) ... شقاء عيش تسحبه هتامة الحب ... هذه هي خلاصة قصته ...

وهو يؤمن بالحب دواء لكل داء :

يا أيها الحب المطهر للقلوب وغاسل الأرجاس والأدران^(١)

وهو يستمره ... إني أقرأ وصفه له وكأني أرى نشوان يترشف كأس
الرحيق ... ألا يخيل إليك هذا حين تسمعه يقول عن الحب :

ما أعظم النجوى الرفيعة كلها يشهدو بها روحان يحترقان
أنفا من الدنيا وفي جسديهما ذل السجين وقسوة السجان
فتطلعا نحو السماء وحلقا صعدا إلى الآفاق يرتقيان
وتعانقا خلف الغمام وأترعا كأسهما من نشوة وحنان^(٢)

لقد تسامد الدكتور طه في آخر حديثه عن ديوان ناجي (وراء الغمام)
تسامد عن عنوان الديوان مقررًا أنه لم يفهمه ، وخشى (أن يكون العنوان
مشكلا ، كما أن كثيرا من المعاني والألفاظ ومن الأوزان والقوافي متكلف
أيضا)^(٣) .

لقد تذكرت سؤال أستاذنا الدكتور طه وأنا أقرأ هذه الأبيات ، لقد
مر بنا أن (ناجي) كان شقيا بدنيا ، ضائقا بهذه الأرض ... وكما شكها منها
إليها ... إلى أهلها ، وإلى ليلها وإلى أنهارها وإلى بحارها فلم تجده الشكوى
ولم يغن عنه الاثنان شيئا ... وهذا عندي هو سر تطلعه إلى فوق ... إلى
السماء ... إلى وراء الغمام ...

(١) الدكتور ناجي ديوان ليالى القاهرة ص ١٩٦

(٢) ص ١٩٦ قصيدة خمرة الرضا

(٣) الدكتور طه كتابه حديث الأربعاء ج ٢ ص ١٥٧

هذه رغبة نفسه أطلقها على جمع من شعرة ، وهو بضعة من تلك النفس
لنعم العنوان كسائر شعر الديوان عن أمل مشرب ... وليشف العنوان
كسائر شعر الديوان عن روح حلقة ...

ولعل هذه الآيات ولا سيما العبارات التي ميزتها تؤيد هذا التفسير عندك
بعد أن أوحى به إلى ...

ونا جى رقيق فياض العاطفة تستطيع دمة من الحبيب أن تطهر للدنيا
التي أشقته بحرا من الآثام... وهل أرق من هذه المناجاة:

يا مناجاني وسرى وخيالى وابتداعى
ومتاعا لعيونى وشهيمى وسماعى
تبعث السلى وتفسى الموت مهتوك القناع
دمعة الحزن التى تسكبها فوق ذراعى^(١)

وناجي العاشق روح شفافة هفاة مجنحة ... اسمعه معي تطرب لقوله :

سموت کائناتاً أمضی إلى رب ینادی
فلا قلبی من الأرض ولا جسدی من الطین

• • •

سموت ودق إحساسى وجزت عوالم البشر
نسيت صغائر الناس غفرت إساءة القدر^(٢)

ولا ينفى هذا ارتداده إلى بشريته أحيانا ورغبته في الحب حسيا نائلا :
شفتي موقورة ظمآنه جنت جنونا (٣)

(١) الدكتور ناجي ديوان وراء الغمام ص ٥٢ قصيدة الميت الحي

(٢) ، ، ، ص ١٢١ ، صلاة الحب

(٣) ، ، ص ١٢٣ ، مصافحة الوداع

لأنه مضطرب العاطفة متأرجح الرغبة ولكنه لا ينال ، فيفرغ شحنة الشوق
الملتب في المصاحفة :

وكان الآن كفى حملت ثأرا دفينا
تتمناك حبيسا عندها العمر سجيننا
طائرا ألقى على راحتها وكرا أمينا
وشهاما قدسيا هادىء النور مبیننا^(١)

وأحيانا يضعف أمام رغبات الحس فيصيح في الخلاء :

أجر شفى من عذاب الظما أما أذن الله ان ترحما
أتمن في الهجر حتى ترانا بكينا دما واحترقنا فما^(٢)
ولكن الذنب ليس بذنيه وإنما هو الهوى وتلك جنائته .

وإذا حل الهوى هيات تدرى كيف كانا
فاذا ماملك الأنفس اصلاها عوانا
فهو نصل مستقر ولهب لا يدانى^(٣)

وناجى ملتب الحس تحس وقدرته في بيته :

بورك الكرم والقطوف وأوقات كان العناق فيها اعتصار
كلما أطلقتك كفى استردتك كما يحفز الغريم الثار^(٤)
ولكن (ناجى) ، كناندى بالشعر الحس ، خاطب الروح .

كم هدا الليل وران السكرى الا أخا سهد يغنى شجاء

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٢٣ قصيدة مصافحة الوداع

(٢) د د د ليالى القاهرة ص ٢٢٢ قصيدة العائد

(٣) د د د وراء الغمام ص ١٢٤ أغنية فى هيكى الحب

(٤) د د د ليالى القاهرة ص ١٠٢ السراب فى السجن

ناداك من أقصى الربى فاسمعى لمن على طول الليالى نداءه
نادى اليقا نام عن شجوه عذب تجنيه عزيز جناه
أحبك الحب وغنى به عف الأمانى والهوى والشفاه
ولمنا الحب حديث العـلا أنشودة الخلد ونحن الرواة^(١)

وكثيرا ما يعف ناجى فى شعره :

قد عرفنا صولة الجسم التى تحكم الحى وتطفى فى دماه
أمرتنا فعصينا أمرها وأبيننا الذل أن يغشى الجباه
حكم الطاغى فكنا فى العصاة وطرنا خلف أسوار الحياة

....

بالمنفيين ضـلا فى الوعور دما بالشوك فيها والصخور
كلما تقسو الليالى عرفا روعة الآلام فى المنفى الطهور
طردا من ذلك الحلم الكبير للحظوظ السود والليل الضير
يقبسان النور من روجيهما كلما قد ضنت الدنيا بنور^(٢)
إنه يسمى لذة الإثم حظا أسود وليلا ضيرا... هنا روح متألقة..
وهو يتفانى فى الحب حتى ليبذل من أجله ما يرضى به على سواه :

يا لها من خطة عمياء لو أننى أبصر شيئا لم أطعها
ولى الويل إذا لبيتها ولى الويل إذا لم أتبعها
قد حنت رأسى ولو كل القوى تشتري عزة نفسى لم أبعها^(٣)

(١) الدكتور ناجى ديوان لياالى القاهرة ص ٢٦ أنوار

(٢) المرجع نفسه ص ٤٤ - ٤٥ قصيدة الاطلال

(٣) المرجع نفسه ص ٤٦ قصيدة الاطلال

حتى إذا أرققه الألم وأمضه الشجن صرخ يائسا مجهودا :

أعطني حريقى أطلق يدي إننى أعطيت ما استبقيت شئ
آه من قيدك أدمى معصمى لم أبقيه ؟ وما أبقى على
ما احتفاظى بهود لم تصنها وإلام الأسر والدنيا لدى
ها أنا جفت دموعى فاعف عنها إنها قبلك لم تبذل لى^(١)

إننى أعطيت ما استبقيت شئ ... أرأيت أجود منه وأندى ؟ أصغ معى
إلى (إننى أعطيت ما استبقيت شئ) ... أليست حلوة النغم ... والياء فى
الألفاظ الثلاثة أ كسبت التعبير كله ليونة وطواعية ورفقا ... إننى لا أسامح
بعدهذا من يأخذ (ناجى) بالخطأ النحوى فى لفظة (شئ) ، ويفسره على أن
يقول (شيا) ... حسب الشاعر أن ينقل اهتزازات نفسه إلى نفوس أخرى
وأشهد أن بيته هز نفسى وأسرها ...

وهو لا يرى فى تفانيه ذلا ، ولا يراه يتعارض مع الإباء ، لأنه يبذل
بمحض رغبته ، ويعطى بإرادته فهو ليس مكرها ولكنه بطل ...

غرامك كان محراب المصلى كائن قد بلغت بك السماء
خلعت الأدمية فيه عنى ولكن ما خلعت به الإباء
فلم أركع بساحته ريام ولا كالعبد ذلا وانحناء
ولكنى حبيبك حب حر يموت متى أراد وكيف شاء^(٢)

إنه عزيز النفس ، ولقد تشور به عزة نفسه فيطرح من حرص عليه
وضحى من أجله وبذل ما بذل :

وحبيب كان دنيا أملى حبه المحراب والكعبة بيته

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ٤٨ قصيدة الاطلال

(٢) ، ، ، ص ٦٤ ، كبرياء

من مشى يوما على الورد له فطريق كان شوكا ومشيته
من سقى يوما بماء ظامنا فأنا من قدح العمر سقيته
خفق القلب له مختلجا خفقة المصباح إذ ينضب زيته
قد سلا في فتنه كرت له وطوى صفحة حي فطويته^(١)

ولقد عنفت يوما ثورته واضطربت فجمع مادة حبه ، رسائل
الحبيب ... أتعرف ما فعل بها ... أسأله يحبيك :

أشعلت فيها النار ترعى في عزيز خطاهما
تغتال قصة حبنا بدنها لختامها^(٢)
أتحسبه مرتاحا هادىء البال ؟ كلا ... لقد احترق هو أيضا ... بل
بكى وهو يحترق :

أحرقتها ورميت قلبي في صميم ضرامها
وبكى الرماد الآدى على رماد غرامها
إنه وفى حتى فى شموخ الكبرياء ... وقد يخيل إليه وإليك أنه تبدل
وغير رأيه ، ولكنها حالات عارضة تعتريه كبإنسان ، وهو بعد هذا عانى الوفاء
فلا يزحزحه شيء ... اسمعت حديثه مع الريح ؟ لقد قالت له :

أيها الشاعر تغفو تذكر العهد وتصحو
وإذا ما التام جرح جد بالتذكر جرح
فتعلم كيف تنسى وتعلم كيف تمحو
أو كل الحب فى رأيك غفران وصفح
هاك فانظر عدد الرمل قلوبا ونساء

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٦٤ كبرياء

(٢) المصدر نفسه ص ٦٨ رسائل محترقة

فتخير ما تشاء ذهب العمر هباء
ضل في الأرض الذي ينشبد أبناء السماء
أى روحانية تعصر من طين وماء^(١)

إنى ألمح تشوئك إلى الجواب ... ها هو ذا جوابه :

أيها الريح أجل لكننا هى حبي وتعلات ويأسى
هى فى الغيب لقلبي خلقت أشرقت لى قبل أن تشرق شمسى
وعلى موعدها أطبقت عيني وعلى نذكارها وسدت رأسى^(٢)

أتصدق أن مثل هذه الألحان لا تجد سميعاً طروباً ، وأن صاحبها لا يحظى
بتجاوب مسعد ؟ إنى لست واهمة فها هو ذا الشاعر يحكى :

يانداء كلها أرسلته رد مقهورا وبالحظ ارتطم
وهتافا من أغاريد المنى عاد لى وهو نواح وندم
رب تمشال جمال وسنا لاح لى والعيش شجو وظلم
ارتمى اللحن عليه جاثيا ليس يدرى أنه حسن أصم^(٣)

إن شاعرنا من طبعه الوفاء واسكن ماذا يفعل إذا أعوزه المقدر لوفائه
المتجاوب معه ، المغالى بحبه ، أملوم إن راد قلبه على التثقل فى الهوى ؟

يا قلب ! صهباء الهوى وبساطه وكثوسه المتجاوبات الصمدح
وقف على متتقلين على الهوى ييغون من لذاته ما يسنح
متبدلين موائدا وأحبة ماخاب من حب فأخر يفلح
فالحب آسبه وراء عليه فيهم ، وبأسمه على ما يجرح^(٤)

(١) الدكتور ناجى . ديوان لىالى القاهرة ص ٥١ قصيدة الأطلال

(٢) المصدر نفسه ص ٥١ - ٥٢ القصيدة نفسها

(٣) المصدر نفسه ص ٥٣ - ٥٤ القصيدة نفسها

(٤) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٩٠ - ١٩١ قصيدة الختام

حجج مغرية . . . إنى أكاد أنمثل كبريائه المجروحة وهى تملى على قلبه
حججها وكأنها أعذار تشفع لها فى نكث العهد ونقض الميثاق . . . ولكن
القلب العميد يبدو أنه غير مقتنع . . . إذ لو أطاع لما صاح به شاعرنا :

ياقلب . ويح ثباتنا ماذا جنى أنرى شعاعا فى البقية يلمح^(١)
لا تحسب هذا البيت ياسا خالصا فان فى الشاعر ذماء من أمل يبعثه فيه
عصيان القلب . . . ترى هل عند القلب أسباب للعصيان ؟ . . . هل وراء
إصراره على الوفاء سر ؟ إنه يريد أن يستوضحه ولكن كبريائه مشخنة
بالجراح لا تحتل جديدةا وهى تقسر نفسها قسرا على الإباء ماذا يفعل إذن ؟
ليصطنع الغضب . . . لينجز القلب فى تساؤل المستكرو هو فى استنكاره
يتلف على جواب :

ياقلب . ويح ثباتنا ماذا جنى أنرى شعاعا فى البقية يلمح
وانتصر القلب الذى يدين بالوفاء ، وها هو ذا الشاعر يترطب لسانه
بعتاب رقيق وكأنه صلاة :

يا أيها الحب المقدس هيكلًا ذاق الردى من عابديك مسبح
كثرت ضحاياه وطال قيامه وصيامه فمتى رضائك تمنح ؟
يادوحة الأرواح يحمدها فى ويعيد زهرها المتفتح
أينال ظلك والرعاية عابث بجلالك البادى وآخر يمزح
وبيت يحرمه قتيل صباية قضى الحياة إلى ظلالك يطمح^(٢)
إنه صفوح . . . تسأله كيف الحال فيقول :

كم تقلبت على خنجره لالهوى مال ولا الجفن غفا

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٩١ قصيدة الختام

(٢) المصدر نفسه ص ١٩١ - ١٩٢ والقصيدة نفسها

وإذا القلب على غفرانه كلما غار به النصل عفا^(١)

لأنه محب رقيق... رقيق حتى حين يلوح بالهجر والفراق :

وهب الطائر عن عشك طارا جفت الغدران والشاج أغارا
هذه الدنيا قلوب جمدت خبت الشعلة والبحر توارى
وإذا ما قبس القلب غدا من رماد لاتسله كيف صارا
لاتسل واذا ذكر عذاب المصطفى وهو يذكره فلا يقبس نارا^(٢)
وهو في الهجر حنان مشتاق :

كثر الهجر على القلب فهل من سلو أو بعاد يرتضيه
أنت فجر من جمال وصبا كل فجر طالع ذكرنيه
كيف جانبك أبغى سلوة ثم ناجيتك في كل شبنيه
أيا الساكن عيني ودى أين في الدنيا مكان لبست فيه^(٣)
ولا يلبث طويلا حتى يغلبه هواه فيستعطف :

ألمى محاذي إليك وكفرا هبني أسأت ألم يحن أن تغفرا
ظمآن لو باع الأحبة قطرة بالعمر والدنيا جميعا لا شترى
أخفى جراحك واستعزّ بفتكها غرّيدك الشادى المحلق في الذرى^(٤)
ولناجى في الحب تاريخ حافل، وسأدعه يروى لك قصة من قصص حبه :
زرتنى كالربيع فى موكب الزهرله روعة وفيه رواء
ولك الوجه أومض الحسن فيه والتقى السحر عنده والذكاء

(١) الدكتور ناجى ديوان لياالى القاهرة ص ١٤ قصيدة الأطلال

(٢) المصدر نفسه ص ٤٨ القصيدة نفسها

(٣) المصدر نفسه ص ٨٨ - ٨٩ قصيدة عذاب

(٤) المصدر نفسه

وشحوب كظلم خمر وللندمان تجلو شحوبها الصهباء
ولك الجليد أتلعا أودع الصانع فيه من قدرة ما يشاء
قد من مرمر وشعشه الفجر ورد وصب فيه الضياء
وانا الطائر الذى تصطبى نفسى السماوات والذرى السماء
راشنى صائد رمانى فأدمانى وولى الجانى وعاش الداء^(١)

أيها أروع موكب الزهر أم معرض الحسن والسحر والذكاء ؟
هل راقك هذا اللون من الشحوب كظلم الخمر ؟ وهل أطربك الغموض
الفنى فى قوله (اودع الصانع فيه من قدرة ما يشاء) ؟

ومما رأى فى حبه ، هذه المشاهد التى يروىها فى هذه الايات :

عشت حتى أرى خمائل حبي تنهاوى كشاح ينهار
تحت عيني ويذبل الحسن فيها ويموت الربيع والانوار
ما انتفباع الفتى بموحش عيش بقيت كأسه وطاح العقار
وبقاء البساط بعد الندامى كأس سم بها يدور البوار
ما انتفعاى وتلك قافلة العيش وفى ركبها اللظى والدمار
الدمار الرهيب والعدم الشامل واللفح والضنى والآوار^(٢)
أى عذاب !

إنك تقرأ سيرة حبه فيما لك البهر من كفاحه وتوزعه بين الرضا
والغضب والشك واليقين والوفاء والغدر والتذكر والنسيان . . .

زعم مرة أنه سلا فانطلق يرحب بضيف السلوان

فى كفه كأس يقدمها تمحو العذاب وتغسل الندما

وتسأله عما فى الكأس فيقول كالمستريح وهو المعنى

(١) الدكتور ناجى ديوان لىالى القاهرة ص ٩٢ - ٩٣ ملحمة السراب

(٢) الدكتور ناجى ديوان لىالى القاهرة ص ١٠١ السراب فى السجن

فيض من النسيان يغمري انى لآحمد سيله العرما
مستسلما للموج يغمري فرحان حين أعانق العدماء (١)
أتصدق أنه (فرحان) حين يعانق (العدماء) ؟ ... إن بيته الآخر
يشى بحسرتة ...

ماذا تنتظر أن يكون قلبه بعد أن شرب من هذه الكؤوس وغص
بها ، وعانى هذه الاهواء لقد

مزقته فصار والله لا يقدر حتى أن يسأل الله رفقا
لجسة بعد لجسة كلها صارع ردت له أمانيه غرق
فيلق بعد فيلق حجب الشمس ولم يبق للنواظر أفقا
وسنان الغروب تغزوه حمرا وسنان العذاب تطعن زرقا
وجيوش الظلام تزحف زحفا وثقال الأقدام تسحق سحقا (٢)
وهو على ولعه بالغيد يسخط أحيانا عليهن ، هؤلاء الدمى ، هؤلاء الأصنام
الجميلة ... ويزجر قلبه فلا يرعوى :

يا قلبي الشاكى المعذب هذه الشكوى لما ؟
يا طفلى النواح آن اليوم أن تتعلما
أسفى لغالى الدامع تبذله لمرتخص الدمى
تبكى على العرش المصوغ من المدامع والدمى
تبكى تراب الأرض مصبوغا بألوان السحائب (٣)

لا تصدق ... إنها ثوره غضب كسحابة صيف ... أنذكر طول
شكواه من الحياة وتمنيه الموت وإشادته (بمباهج) القبر ؟ أتعرف ماذا

(١) الدكتور ناجى ديوان لىالى القاهرة ص ٨٥ قصيدة النسيان

(٢) الدكتور ناجى ديوان لىالى القاهرة ص ٧٢ قصيدة بعد الفراق

(٣) ص ٨٢ » الضم الجليل

حدث بعد هذا ؟ لاح له من يحبه فسرعان مانسى آلامه وانطلق يقول :

لولاك والعهد الذى عقدت بينى وبينك مهجى ويدي
اضجعت جنبي جوف غيمبه وأرحت فيه بالى الجسد^(١)

ووافاه الحبيب وصفا له فتهلل كالطفل وابتهج كالصفور حط على جنة
فيها الماء والحب والشجر ، لقد سمعته جذلان يقول:

طابت بك الأيام وافرحته أنت الأمانى والغنى والحياه
فليذهب الليل غفرا له مادام هذا الصبح عقبى دجاء^(٢)

انها الطفولة المتجددة الكامنة فى طبيعة كل عظيم ... ولعل هذه
الطفولة المتجددة الكامنة فى طبيعته ، يرقد بها حبه للجمال ، وهيامه بالحب ،
هى التى حدث به الى التراجع عن تمنى الموت بل حدث به الى الإشفاق
على نفسه منه حتى ليشتهف على الحياة ونعيمها ويتساءل

يا أيها العالم الأخير ماذا ترى فيك من نصيب
أراحة فيك للضمير أم موعد فيك من حبيب^(٣)

أرأيت انه يتمنى لو اتصلت مواعيده فى الأخرى كالأولى ... ولعله
تذكر برمه بالحياة وأحس أنه يناقض نفسه بمخايلتها فراح يفسر جزعه من
الموت بجمل الحى له ، ولو عليه لاستعذبه ..

كم يعذب الموت لو تراه او كان فيك اللقاء يرجى
ينفض عن عينه كراه ويقبل الراقد المسجى^(٤)
لكن شكاً بما تجن خيم فوق العقول جمعا
عجبت للمرء كم يشن ويستطيب الحياة مرعى^(٥)

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ٩٤ قصيدة الميعاد

(٢) » » لىالى القاهرة ص ٢٥ » النوار

(٣) و (٤) و (٥) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ٦٠ قصيدة الليالى

إنه لاشك يلمح نفسه في هذه الأبيات .
ويتصل بهذا فزعه من الشيب نذير المغيب والحرمان من الحبيب :
يا ويلتا من عمرى الباقي هذا سواد تحت أحداق
هذا بياض الشيب وأعجبى من مغرب فى زى إشراق^(١)
ويبدو أن الحب يخرج المحب عن طوره ويبدل صورته أحيانا ، وإلا
فكيف يقول ناجى السخى الخير مثل هذا البيت المشوب بالأنانية :
ونود لو خلت الحياة لنا كطريقنا وغدت بلا أحد^(٢)
إنه طغيان الحب ... فاعذره ..
وناجى المتدفق العاطفة فى الحب والفرح ، عميق العاطفة فى الحزن ،
سخين الدمع ، شجى النواح .. سهر عند مريض حبيب يعنى به ، وكان
وداعه فى الصباح فودعه بقصيدة باكية منها :
فيم الغد وغدا وأين رواحى ويح الصباح لقد مضى بصباحى

....

يا هانفا باسمى فديت مناديا رد النداء عليه حر نواحى
يا آسى الآسى لممت جراحى وأسأت يوم نواك أى جراح
طأطأت للبين المشتت هامتى وخفضت للقدر المغير جناحى
أى الليالى العاتيات سهرتها فى أى آلام وأى كفاح
هدم الضنى العادى قوى شكيمتى وثنى معاندتى ورد جماحى
وطفى على الملك الموسد بيننا فى لطف زنبقة وضعف أقاح^(٣)

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ٧٥ . قصيدة شكوى الزمن

(٢) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة ص ٨٦ قصيدة المساء

(٣) » » وراء الغمام ص ١٤٢ قصيدة وداع المريض

ولكنه ما لبث أن تسلى بحكم طبيعة الطفولة المتأصلة في نفس الفنان
فنراه بعد أن أطلق هذه الأناث :

عاد الشقى إلى قديم شقائه ومحا من الدنيا السعادة ماحى
ويح الحياة اليوم أين جمالها وعلام إخفاق بها ونجاحى
أنت الذى وهب الحياة لميت فى الأرض منفرد بغير طاح
أشرقت فى ظلماتها وغمامها وطلعت مثل البارق اللماح^(١)

تسلى ووجد على الاثر من يقول له :

أدركت عندك يومى الموعودا ولقيت فيك مشالى المنشودا
وافرحنى بك فرحة الطفل الذى يلهو ويخلق كل يوم عيدا
وافرحنى بك فرحة الطير الذى ملأ الروابي المصغيات نشيدا
طربت لصدحته وصفق طاهرا جذلان فى عرض الفضاء سعيدا
فى موكب من قلبه وحبليه من راح تحسبه العيون وحيدا^(٢)

أرأيت ؟ ... إنه لم يعد وحيدا .. وإذا تأملت الاسم الذى خلعه على
القصيد (فرحة جديدة) وجدته يتم عن شعور بالتهنى ، وأنه قلب الصفحة
وبدأ عهدا جديدا وفرحة جديدة . إنها الطفولة كما قلت ، والأدب كما يقول
شاعرنا نفسه (تنبت جذوره وعناصره فى الطفولة . فن المؤلف أن الطفل
ينام على اللحن الموسيقى ، ويستأنس بالغناء ، ويحب القصة الخيالية ، وقد
يؤلفها هو نفسه ...

فالواقع أن الأديب طفل لم يكبر .. والأديب الصحيح من له خصائص
الطفل ، فى فرحته بالأشياء ، وسذاجته ، وتهلله ، وضحكته ، وخیاله ، وفرحه

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ١٤٣ قصيدة وداع المريض

(٢) المصدر نفسه ص ١٤٤ قصيدة فرحة جديدة

وابتهاجه بالموسيقى (١).

إنه سريع الاستجابة ، كصفحة الغدير تتأثر بأوهن النسيم ، والحب عنده
قد يولده العطف كما يولده الجمال والإعجاب سواء بسواء . لقد عرفنا
أنه حزين ... والحزين من طبعه منعطف إلى كل حزين .. منجذب إلى كل
شئ مكروب .. وهكذا .. يرى ناجي إنسانة حزينة فيميل إليها وما أن
يتأملها حتى يهتف :

فأنا إن لم أكن توأمها فسكّاني كنت في الغيب أخاها
نحن أرواح حيارى ثملت وانتشت سكرى على لحن أساها (٢)
ثم يحدثها حديث ما هو فوجد خدن روحه وصورة نفسه :

قربي روحك مني قربي ظليلني واغمريني برضاها
وتعالى حديثي . حدثني أنت امرأة شجونى وصداها (٣)
إنه ينشد الظل والمأوى والسكينة .. إن قلبه مشبوب بهفو إلى ...
شئ ...

ويبدو ناجي لعينيك أحيانا حالما يتمتم :

أخيلا كان هذا كله ذلك الجسر الذى كنا عليه
والمصابيح التى فى جانبيه ذلك النيل وما فى شاطئيه
وشعاع طوفت فى مائه وظلال رسبت فى ضفتيه
وحبيب وادع فى ساعدى ووعدو نلتها من شفقتيه (٤)

(١) من مقال للدكتور ناجي عنوانه (سيكولوجية الأديب) مجلة الرسالة ص ١٩٤

(٢) و(٣) الدكتور ناجي ديوان وراء الغمام ص ١٥٦ - ١٥٧ قصيدة إلى س

(٤) الدكتور ناجي « ليالى القاهرة » ص ٢١٣ - ٢١٤ قصيدة الخريف

وهو من دنياه الخاصة في عالم فريد وأحلام يقظته حشد حافل . فاذا رأيته صامتا فلا تحسبه ساكنا .. إنه في صمته يتحدث ويسمع ...

... أترك في شك بما أقول ؟ إذن اسمع معي أحاديث صمته ..

رفر ف الصمت ولكن أقيمت من أقاصي السهل أصداء بعيدة
تهادى في عباب ساحر مرسل للشط أمواجاً مديدة
كم نداء خافت مبهتد تشتهي أذن الهوى أن تسعيده
عاد منساباً إلى أعماقها هامساً فيها بأصداء جديدة^(١)

رفر ف الصمت ولكن هاهنا كل ما فيك من الحسن يغني
آه كم من وتر نام على صدر عود نوم عاف مطمئن
وبه شتى لحون من أسي وحنين وانين وتمن
رقد العاصف فيه وانطوت مهجة العود على صمت مرن^(٢)

وناجى عينه نفاذة تلح الجبال متبدية ومقنعا ، ويخاطبه في الغادة الهيفاء ،
ويخاطبه في الراهبة الباكية سواء بسواء ... أما حديثه مع الأولى فذائع ...
وأما حديثه مع الأخرى فما هو ذا :

ياربة الحسن الذي تصبو له مهج العباد وترتجيه جميعا
الحسن من حق الوري وحملته متأبيا مستخفيا ممنوعا
في الدير مثواه وفي جنح الدجى يتحدر الحسن الشهيد دموعا
تتحرق الدنيا عليك وربما أوقدت نفسك في الظلام شموعا^(٣)
وناجى مقيم بالجمال ، يهواه بل ويقدسه ، حتى ليوقعه الهوى والتقديس أحيانا

(١) الدكتور ناجي . ديوان ليالى القاهرة ص ٢١٤ قصيدة الخريف

(٢) الدكتور ناجي . ديوان ليالى القاهرة ص ٢١٤ - ٢١٥ قصيدة الخريف

(٣) ص ١١٠ قصيدة الراهبة الباكية

فى مآزق إنسانية لو صح هذا التعبير ، كهجائه لمسكفوف بنى بحسناء (١) ...
وكان الظن بناجى الطيب الشاعر فى مثل هذا الموقف أن يحمى للأقدار
تعويضها الرجل عن النور السليب الجمال الحبيب .. وهل الأبصار شىء ينال
بالاكتساب الذى يحسب لصاحبه الفضل فيما كسب ثم عجز عنه ذلك الرجل
حتى يلام عليه ؟ ولكن إغزى لناجى للجمال وضنه به وتعصبه له هو الذى أثار
غضبه على المسكين .

وولع ناجى بالحب والجمال والشعر يعزى فيما يعزى إلى شعور متأصل
فيه بقصر عمره ... وهذا الشعور يلوح لك فى ثنايا شعره كقوله :

ذاك عهدى لكن قلبك لم يقض ديون الهوى ولم يرع عهدا
والوعد الذى وعدت فؤادى لا أرانى أعيش حتى تؤدى (٢)

لهذا يريد أن ينتهب اللذات ، ولهذا يريد أن يتعجل المسرات . على أن
السبب الأقوى لا يزال عندى يكمن فى طبيعته الخيرة وفطرته النقية التى تدفعه
بوحى منها إلى الخير والجمال والحب ...

وقد كان ناجى يحب الحب نفسه ومن ثم كان كل ما فى الحبيب يوحى
إليه ، ويسر فى أذنه حديثا يعلنه شعره .. فجأله .. وحلاه ، وذكاؤه ورباه ،
وغضبه ورضاه ... عرائس إلهام ... وما بالغريب هذا ... ولستك تلمح
فى مؤخرة الموكب الحافل ... كلبا صغيرا .. إنه ميكى ... وما عمله ؟

فيم السؤال وكل شىء طيب من أجلاه —
وبنفسه حب قصاراه الحياة بظلمها
سارت وكل متاعه فى أن يسير بقربها

(١) الدكتور ناجى ، ديوان وراء الغمام ص ١١١ قصيدة هجاء أعمى بغيض

(٢) » ليلالى القاهرة ص ٥٦ قصيدة ذات مساء »

يستاف نعليها ويأبى في الوجود منافسا
فاذا تخيل دانيا من تربها أو لامسا
يختال ملء نباحه زهواً ويخطر حارسا
في وثبة هيات يسأل ما يكون وراءها
الامر كل الامر أن يغدو يدافع دونها
والنفس تنكر في الضحية عقلها وجنونها^(١)

إذن ليس (ميكى) فضولا في الموكب الرائع ... في نظر الشاعر على الأقل ... إن الصديق الصغير يؤدى عملا جليلا ...

ولقد راق ناجى تعريف تيوفيل جوتييه للحب حتى ليغده أحسن ما قيل على الإطلاق في التعاريف الأدبية إذ الحب فيه (أن يسلم شخص تماما نفسه لآخر ، وأن يتنازل له عما يملك وما يعتقد ، فلا يرى إلا بعينه ولا يسمع إلا بأذنه ، أى أن تصير واحداً فى اثنين ، بحيث لا يعرف هل أنت ، أم أنت الآخر ، فتمتص شعاعا ، وتنشر شعاعا ، فتصير القمر مرة ، والشمس أخرى ، وترى كل الخلق والوجود فى الشخص الآخر ، فينتقل مركز الحياة ، عندك إلى هناك ، وتكون مستعدا لأكبر التضحيات وإنكار الذات ، ومستعدا لأن تتألم على الصدر الثانى كأنه صدرك أنت . والمعجزة أن تتضاعف وأنت تبذل ! هذا هو الحب ١)^(٢) .

وفى التفصيل دلالة لالتخفى ، لأن سيرة شاعر الغزل ، تفسير واف للتعريف ، وشعره فى هذا المجال آيات شواهد ... وما كنا لنحتفى بغزله هذه الحفاوة لولا أنه يتغزل عن شعور لا تقليد ، ووحى لاصنعة ، وطبيعة لانتكافا .

(١) من شعر له لم ينشر بعنوان ، ميكى ،

(٢) كتاب (كيف تفهم الناس) للدكتور ابراهيم ناجى ص ١١٨

وهذه النتائج التي استخلصتها الدراسة من شعره لم يغير منها الزمن .
فبين يدي الآن شعره المخطوط وهو لحسن الحظ يحمل تاريخا ميمنا إذ كتب
عليه من ١٩٤٨ - ١٩٥٣ .. أى شعر سنه الأخيرة .

وقد وقفت عند هذا الشعر وقفة خاصة عل فيها اتجاهها آخر ، أو رأيا
جديداً ، أو تحولا في سيرة حياة .. فماذا وجدت ؟ الغناء هو الغناء ، والرفيف
هو الرفيف ، والحقفة كالعهد بها كلما لاح جمال أو تبدى حسن أو ضاع
غير ... والعاطفة واهما له منها ... لقد أحسست خفقها قويا معبرا في
شعر الغروب ... أحسستها وأعجبي جيشاة عارمة لم يترد لها أشواق ، ولم
يرو منها أوام ...

وقد سمعنا شعر الشباب في ديوان (وراء الغمام) ، وشعر الرجولة في
ديوان (ليالى القاهرة) ، فهل كان أحر جوى وأرق هوى من شعر
المغيب هذا :

أنا وحدى فى البيد حيران هائم	ففى تذكر القفار الغائم
رحمة باسماء إن فى جف	وحلقى عن الموارد صائم
أيها الطاعم الكرى ملء جفنيك	وجفنى من الكرى غير طاعم
أبكى واستبدى واقض ماشاء	لك الحسن واطلم وخاصم
غير هذا النوى فإن لياليه	ظلال من المنايا حوائم
بالذى صنت عهده لم أخنه	ومتى خانت الأكف المعاصم
والذى حكمه كاقدار عينيك	فما منهما ولا منه عاصم
أى صوت من الغيوب ينادى	فأطوى له الدنى والمعالم
قدر مشعل على شفة تدعو	فأخطو على اللظى غير نادم

صاغ ناجى هذا الشعر المشبوب فى يونيه سنة ١٩٥١ أى قبل منيته بسنة
وبضعة شهور فجاء كشفه المغيب أشد ما يكون احمراره توهجا وضراما
قبل الرحيل ، وكأن الشمس الذاهبة ولوع بالحياة والنور والنهار ، فهى تريق

على صفحته ، وتذيع في جوه أشواقها الملهبة الدامية كي ... لا ينسى ...

....

أبكنى واستبدني واقض ماشاء لك الحسن وأظلم وخاصم
لا أريد أن أفسر هذا البيت كي لا يفسده الشرح والتفسير ولكني سأترك
الشاعر نفسه يفسره بشعره لعل تفسير الشعر بالشعر أكرم لجمال الفن ..
وها هو ذا ناجي يفصح عن السر في طلبه الغريب ...

يا روح	روحي	ودواني	وجروحي
على قلبي	تنقلي	واذهبي	وروحي
عذابك	يلهم	وهجرانك	يوحي
فما بالك	بالقرب	ووجهك	الصباح

هذه فلسفة الحب ... لتكن ... سمها ماشئت ... ولكنها
عندي حنان ...

ومن شعر ناجي تبين أنه ليس من الموحدين في الحب فله محاب كثيرة ...
وقد ذاق ألوانا من الحب فتارة يفتنه (السحر والذكاء) ، وآما
يغريه الجمال ..

ومن محابه البيضاء الزاهرة والسمراء الفاتنة .. وكما راعه الاشراق في
الأولى . سبته السمرة والجادية في الأخرى حتى كاد أن يعبدها ، ومن صلاته
لها هذه الترنيمة :

ملكي	ومحـ	وقدس	فؤادي	المتبتل
لمن	الجمال	الفخم	يرفل	في الغلائل والحلى
متألفا	في	خاطري	متألقا	في المحفل
أقبل	بما	ولت	به	الدنيا وهات وعلل

وابسط .. جناحك فوق قلبينا الغداة وظل
 طر حيث شئت .. فان دنوت لناظري فتمهل
 واما هذى الطلعة السمراء عندي المجتلى
 بغلائل الأضواء وشتها رقاق الأمل
 وشت بشاشتها نضارة وجهك المنهل
 فكان طفل الفجر نام على وسادة جدول^(١)
 ولا أريد أن أزيد من الأمثلة فهي قريبة منا في الصفحات السابقة ...
 وقد أَرْضَى الحس كما أغلى من حب الروح سواء بسواء ...
 على أنه مغبون قلبا ينال ، ولعل هذا هو السر في تزعزع ثقته بالوفاء على
 رغبته فيه ..

وشاعر الغزل تغنى به منذ طفولته الباكرة ، فقد ولد شاعراً كما يولد
 كل صادق غريدا ... جاد ناجى بالشعر وهو فى الثالثة عشرة من عمره ...
 وطبيعى ألا ننتظر فى مثل هذه السن الغضة فحولة أو تدفقا ، ولكن حسب
 الغلام ابن الثالثة عشرة أن يقول :

هل أنت سامعة أنينى يا غاية القلب الحزين

إذن عرف الأنين مبكراً ...

يا قبلة الحب الخفى وكعبة الأمل الدفين

لقد نم على الصغير شعره ... لقد عرف الحب غير أنه يخفيه .. وقد
 كانت له آمال تتعلق بهذا الحب وهو فى العاشرة أو نحوها ، حتى يمكن

(١) من شعره لم ينشر بعنوان « سمراء المحفل »

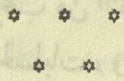
وصفها في الثالثة عشرة بالديانة .. وهذه الآمال بالطبع تتجاوز رغبات
الطفولة الولوع بالحلوى واللعب :

إني ذكرتك باكيا والأفق مغبر الجبين
والشمس تبدو وهي تغرب شبه دامعة العيون
أمسيت أرقبها على صخر وموج البحر دوني
جالسة شعرية بلا مراة ...

وبالبحر مجنون العباب يهيج ثأثره جنوني
رفقا يا شاعرنا الصغير ... مهلا يا صغيرنا الشاعر ...
ورضاك أنت وقايتي فإذا غضبت فمن يقبني

لقد ارتدت طفولته المتمردة المتعلقة بمجد الفن إلى ضعفها اللانث بالحنان
يدفئها ويقبها .. إن هذا أشبه بنداء طفل إلى أمه يناشدها الرضا ويفزع من
غضبها منه إلى نداء الحبيبة ..

وهل ابن الثالثة عشرة إلا طفل ... وإسكنه طفل واعد ... وقد
صدقت الأيام وعده فكان لنا منه شاعر الغزل ...



شعر ناجي

الشعر عندي هو النافذة التي أطل منها على الحياة
وأشرف منها على الأبد ..
وما وراء الأبد ..
هو الهواء الذي أتنفسه
وهو البلمس داويت به جراح نفسي عندما عز الأساة
هذا هو شعري ناجي

.....

وما دام شعره كان نافذته إلى الحياة ، إذن لقد ضمنه مرثياته وآرامه
وانفعالاته بما شاهد ورأى ..

ونحن نريد هنا أن نطالع هذه المشاهد والآراء والانفعالات ثم نحكم
عليها ... لا كما نحكم على العرض السينمائي نلتقي الحكم في كلمة أو عبارة ثم نمضي
في طريقنا المرسوم بعد أن ننسى الرواية بعيوبها ومحاسنها على السواء ...
كلا ... إننا نريد أن نرى شعر ناجي بمنظار آخر ونحكم له أو عليه حكما من
طراز آخر ... لقد كان الشاعر يحب من الناقد (أن تكون وظيفته كاتب
حسابات الفن) ، عليه أن يدون الحسابات ، ويرصد الدخل والخرج ، ويعين
الرصيد ، ويمحو من العملة القديمة ، ليبدلها بعملة جديدة ، فهو من ثم يكون
حافظ التراث ، حافظ التراث القومي والتراث الإنساني (١)

ويرى طيبينا الشاعر أن من واجب الناقد أيضا (أن يحاول وضع العمل

(١) الدكتور ناجي (رسالة الحياة) ص ٨٣

الأدبي في مكانه من القيم الإنسانية الثابتة ، بعبارة أخرى يتعدى الخصوص للعموم ، وهو لن يصل إلى هذه النتيجة إلا إذا اعتبر النقد وعيا للحياة الإنسانية (١) .

إذن تعال معي نبحث عن مواطن الوعي للحياة الإنسانية في شعر ناجي ... ولكن بعد أن نبحث معا المادة التي صيغ منها هذا الشعر ...

لقد رأيت كيف استهل ديوانه الأول (وراء الغمام) بالآنين الذي لم يخفت حتى انتهى منه ، فإذا نحيته واستقبلت ديوانه الآخر (ليالى القاهرة) فان عينك لا تسكاد تتحول عن شكوى الألم في صور شتى ، فقصيدته (فى الظلام) فيها شجن قتال وظمأ مرد وطيف رعب وآلام ووجد وجهه وأنفاس مضطربة وضيق جائم ووحدرة ووحشة وركود ودموع ودم وأشواك وضنى وتعذيب ، وهى فى جماتها كابية مظلمة إلا ما يومض فيها من حين إلى آخر ، مثل قوله :

فيا أيكه مد الهدى من ظلالها ربيعا على قلبى وروضا من السعد (٢)
وقصيدة أنوار ، فيها الألم أيضا ولو أنه ذكرى تضاعف النعيم المائل ولا ترنق صفاء :

يا من غفت والفجر من دارها شعشع فى الآفاق أبهى سناه
قد طرق الباب قفى متعب طال به السير وكلت خطاه
نقل فى الأيام أقدامه يبنى خيالا مائلا فى مناه
عندك قد حط رحال المنى وفى حمى حسنك ألقى عصاه (٣)

(١) الدكتور ناجي رسالة الحياة ص ٨٥

(٢) الدكتور ناجي ديوان ليالى القاهرة ص ١٧ - ٢٤ قصيدة فى الظلام

(٣) المصدر نفسه ص ٢٥ قصيدة أنوار

وقصيدة (أحلام سوداء) عنوانها كاف للدلالة على ما فيها من سوداوية واعتكار وشك وظنون وحذر وغيوم وأنين وجراح ... وقصيدة (الميعاد الضائع) قصيدة خائية فيها الفزع واللفه وقوة الحياة وشقاء الأيام والأقدار المسينة والاحزان والنحيب والدموع والأمل الضائع والسعادة الزاهية .

لا تخل هذه الألفاظ من عندي في معرض التحليل ولكنها ألفاظه هو المباشرة في قصائده ... وإنما عملي أنا هو رصد لها لدلالاتها على نفسيته ..

والقصائد الباقيات ؟ ها هي :

(اثنان في سيارة) فيها سوداوية ... ألم يستهلها بقوله :

العمر أكثره سدى وأقله صفو يتاح كأنه عمران

وفيه اللوعة والحرمان والاستخفاف بالحياة وغايتها .

(لقاء في الليل) وهذه أيضا لم تخل (مما يسوء) وحوالك ...

(ختام الليالي) فيها الهجران والتعذيب والفراق واللهيب والدموع

(الاطلال) إنها قصة حب عائر ، الشقيا وتحابا ثم انتهت القصة بأنها هي صارت

أطلال جسد ، وصار هو أطلال روح ... طبعي أنك لا تنتظر

من هذه القصة شعرا منطلقا بل دموعا منظومة ...

(ذات مساء) و (راوية) و (يأس على كاس) كلها حزينة

(عاصفة روح) قائمة كابية نفخ فيها يده من كل شيء

(كبرياء) فيها الشقاء والسراب والشجن والدماء والضيايع والهموم فماذا تبقى

في عالم البؤس ؟

(ذكرى) حمدا لله ... إن الذكرى التي طافت به باسمته هذه المرة ...

(رسائل محترقة) وما ذا تخلف الرسائل المحترقة غير الرماد والآلام ؟

(الغريب) توجس من الغد وجراح ولظى ووحدة ...

(بعد الفراق) إنه فيها يتمزق ...

(شكوى الزمن) ترى ما الذى يشكو المرء غير الجحود والتعذيب ؟

لم يشذ ناجى ...

(كل الورى) امتداد للشكوى ...

(راقصة) إنه يتلهى بوصف مايسر

(الصنم الجميل) بكاء وندم

(شكوك) فيها دم وندم وموت وعدم جراح وانتقام وعصف ولذع

وسخط وجوى وبرم واضطرام

(الذسيان)، (المساء)، (عذاب) لا يخفت فيها أنينه عما سبق

(ملحمة السراب)

(السراب فى الصحراء) سراب وصحراء ما وراءهما غير الإقفار والظما

اللذين خلفا فى نفسه السقيم والبرحاء والضيق واللهفة والتفزز والجراح

والأشواك والبأس والحيرة ... لولا الأمل الذى كان يخالبه لقضى

عليه ...

(السراب على البحر) سيان البحر والصحراء عنده فى الإقفار والألم ...

(السراب فى السجن) ليس بعد السجن ضيق ...

(آمال كاذبة)، (البعث) قصيدتان كاييتان

(المنصورة)، (وقفمة على دار)، (الراهبة الباكية)، (من إلى ع) كلها عليها

مسحة الحزن ...

يل هذا شعر المناسبات ويشغل أكثر من ربع الديوان ولنا عنده

وقفمة بعد قليل ...

ثم تأتى هذه المقطوعات والقصائد ...

(حب على الصحراء) فيها جفاف وسراب وحر وأباطيل وعبوس

(القافلة الصغيرة) يراها ويرى الدنيا معها ومثلها خيالا أو ضلالا ، أو محالا
 (عاصفة) فيها الضجر والظنك والحظ الغارب والبلاء والعصف
 (عينان) فيها يباب وعقم وحسرة وأسف
 (إلهيا) حب محروم
 (بعد الحب) يأس
 (أنوار المدينة) شكوى من القدر ..
 (خمر الرضا) رحمة ناضبة وشجى ومجافاة وازورار وتقطيب ..
 (غصن صغير) فيها صبر يتعمل بالآمل
 (الخريف) لا تخلو ، ففيها غمام وكآبة وسقم وهم وشحوب وحزن وضباب
 وممل وحب ضائع وحسرة وبال مشئت وجرح
 (العائد) حتى هذه ليست فيها فرحة اللقاء كما يوحى العنوان ...
 وكان من صنع هذه الهموم شيوع هذه الألفاظ في شعره :

سراب - خداع - جرح - دأى - حزن - بكاء - ملل - كآبة - سقام -
 سراب - خداع - جرح - دأى - حسرة - دمة - عبوسة - ظلمة - شك -
 أحداث - آلام - ألحيب - أوصاب - حيرة المرتاب - لفظة - تمزيق - هم مفرق -
 شكوى - أنين - يأس - عذاب - لظى - حران - احتراق - آهة - شقاء -
 أوام - صدى - تضرع - شجن - ظنك - نكد - حرب للحياة - جزع -
 ضيعة الرشد - الصبر - الجوى - عثار - شتات - جدوة - زفرة ...

ولما كان الحب عنده دواء لكل داء ، وكان همه ومتنفسه ، يشقيه ويرضيه ،
 ويسره ويبيكه ، فهو من ثم قد أشاع في شعره هذه الألفاظ :

سلوى - راحة - أمل - حنين - حنان - رقة - شهد الرضا - رحيق -
 ضحك طفلين - ربوة - شدة - فتنة - رحمة تبتسم - نوار الخيلة - البراء المرجى -

نعمى - الجدول المنساب - النور الطهور - الحسن - الظلال - الأضواء -
روضة - ضاحك - مخضل - أكام - الأمانى البيض - ائتلاق النجم - نسيم -
نبراس - وحى - إلهام - فرح رقص - أمن .

وقد رصدت هذه الألفاظ المنبثة في شعره لأنها عندي مفاتيح نفسه ،
فعندما أراه يكثر من استعمال لفظ « العقوق » ، أحس أن في حياته جمودا
يضمنه ، فينفسه في هذا اللفظ الذى يردده أراد أم لم يرد .

أما ألفاظ الطب في شعره من مثل : أساه ، جراح ، حمى ، هذيان ،
ضهاد ، شحوب . فدلائلها واضحة ... لأنها غلبة المهنة على أسلوب صاحبها ،
أليس شاعرنا طبيبا ؟

هل اقتصر شعر ناجى في ديوانه على الشكوى والحب ؟

إن الشعر نافذته إلى الحياة ... والحياة بلا ريب زاخرة بالوان أخرى
فهل صورها ناجى في شعره ؟

إن له قصيدة بعنوان (الحياة) ^(١) ... فلنرجع إليها ...

كم غادة بين الصبا والشباب تأنق الصانع في صنعها
تخطر والأنظار تحدر الركاب ولفظة الإعجاب في سمعها
وانظر إلى سـيارة كالأجل تخطف خطفا لا تبالى الزحام
هذا الردى الجارى اختراع الرجل هل بعد صنع الموت شيء يرام
وانظر إلى هذا القوى الجسد الباتر العزم الشديد الكفاح
قد أقبل الليل فى الجلد فى رجل يدأب منذ الصباح ^(٢)

هذا بعض ما جاء فى القصيدة ، سقته على سبيل المثال ... والقصيدة فى

(١) الدكتور ناجى ؛ ديوان وراء الغمام ص ٢٩

(٢) المصدر نفسه ص ٣٢ - ٣٣ قصيدة الحياة

يجموعها لوحة كبيرة عليها صور تخطيطية سريعة تعطيك الملامح الظاهرة والهيئات ... واللوحة على ازدحامها تستقصيها عينك عند مطالعتها ، ولست في حاجة إلى الوقوف طويلا لأنه ليس هناك ما تتامله مما يبحث عنه الشعراء وراء الملامح والهيئات ... ولعل الشاعر قد أحس بهذا فاستأنى في آخر القصيدة عند ما فطن إلى مصير الجمال والغنى ، ولكنها أيضا فطنة العجلان الذي يقف عند السطح ولا يسبر الأعماق ... وهل فينا من يجمل أن الفناء غاية كل حي ؟

وفي موكب الحياة ، استوقفته الراقصة مرتين ... أما راقصة (ليالى القاهرة)^(١) ، فهو معها رسام يصور بريشته ما يرى من مفاتن ، ولا عليه أن يروى قصتها ويقرأ صدرها أحزانه ولواعجه ...

وأما راقصة (وراء الغمام) فقد رق لها ورثى لحالها ... وإنا لنلح في قصيدة هذا الديوان (قلب راقصة) نلح الإنسان في الشاعر الفنان ، فلم ينظر إلى الراقصة نظرة عابث لا يرى فيها إلا تسليية ومتعة رخيصة ، ولكنه رآها إنسانا يعصره الصبر والالم ، يضحك وهو يبكي ، ويبيع السرور وهو مهموم ، ويرقص وهو يموت كالذي يبيع ...

لقد دخل الشاعر المرقص فرارا من الواقع في جهامته ، والدنيا ومشاكلها ، وبهرته الاضواء بادية الامر ، فكاد يكفر بعلبه وفنه ، وكلاهما أضناه ، وأوشك أن يختزل الحياة في قديميس ، وكأس تدور ، وخمر ونور

لم لا أثور اليوم ثورتهم لم لا أجرب ما يحبونا
لم لا أصبح اليوم صيحتهم لم لا أضج كما يصنجونا^(٢)

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ٣٨ - ٣٩ قصيدة قلب راقصة

(٢) المصدر نفسه والقصيدة نفسها ص ٣٨

لم لا تذوق كسوسهم شفتى
 فى ذمة الشيطان فاسمقى
 يا قلب ضنقت وها هنا سعة
 أنقول أعمار مضضعة
 إن الحجا سى وتدميرى
 ورزاتى ووقار تفكيرى
 ومجال مصفود بأغلال
 ما ذا صنعت بعمر كالحالى^(١)

ولكن تساميه انتفض جأفة فلم يعد يرى فيه الراقصة المشتهاة ، ولكن الإنسان الأسوان الخلق بالراء ، فرثى لها وأسى عليها ومضى يقول :

عجباً لقلب كان مطمئنه
وأشد ما في الـكون أجمعه
من أنت يا من روحها اقتربت
صبيته في كاسي وما سكبت
طرباً فجاء الأمر بالعكس
بين القلوب أوامر البؤس
منى وخاطب دمعها روي
فيه سوى أنات مذبح

ولكنه بعد لقائها تركها تضي لحالها وترتد إلى ما كانت فيه دون أن
يكشف غشاوتها ويردها إلى نفسها أوحى يستشير الضمير الاجتماعي من أجلها،
ويطالب بالعيش الكريم لها عليها تتوب ...

وقد اصطنع ناجي الحكمة واتخذ سمت الشيوخ المجريين في بعض شعره المخطوط ، فنظر إلى الرقصات نظرة عارف مجرب غير طامع في مزيد ، وإن كانت أبياته تشي برغبة مقنعة لأنها تؤثر الاحتشام ... وإليك بعض أبيات قالها في مرقص :

نادتني الانوار فيك كأنما
فكان طيرا من ثنانيا دوحه
متعلقا بخناقها ومصفاقا
وكان ديرا قام فيه معربد
قفز الشعاع إلى الخواطر وأثبا
يسعى إلى نفس الخفية هاربا
بجناحه بين الجوانح ضاربا
لهز أجراسا وبوقظ راهبا

(١) الدكتور ناجي ديوان وراء الغمام ص ٣٨ قصيدة قلب راقصة

(٢) ص ٤٣ - قصيدة

راجعت نفسي، ويح نفسي ما الذي أرجو من الدنيا وقد ولي الصبا
يا هاته الدار التي وافيتها غرا كما تهوى الحداثة لاعبا
وأنا الذي خلقت له ولقلبه هذي المفاتن مسرعا وكواعبا
فنشرون لي مثل النضار ذوائبا وصقلا لي مثل الرخام ترائبا
الكأس غير الكأس لا ألقى بها طعاما كأمس، ولست ذاك الشارب
فكأنني في إثر حلم قد عفى قدحا ومسكوبا هناك وساكبا
هذي الدمي المتأيات هصرتها عودا، ورويت الشباب ماربا
أليست هذه صحوة شوق غاف، ويقظة هوى وسنان؟

....

وفي شعر ناجي غناء... أما سمعته يغني؟ ... إن لم تكن فاطرب الآن:

أنت إن تؤمني بحبي كفاني لا غرامي ولا جمالك فاني
فتعالى روى الظما في عيوني واجفوني لقطرة من حنان
أى روح أحسه أى سحر سكبت في هاته العينان؟
وكأنى مخلق في سماء ومطل منها على الآكوان
مستعز بما منحت، قوى أجمع الكون كله في عناني^(١)

غناء عذب... أليس كذلك... أبحق له بعد هذا أن يقول:

إنما الشعر مزهر قد حكى قصة الأمم
وبأوتاره المني تتساقى وتزدحم
هو ناي مرجع لشجي وما كتم
هو قيشارة الزما ن ونجواه من قدم
هو أنشودة الحيا ة وفيض من النغم^(٢)

(١) الدكتور ناجي . ديوان ليالى القاهرة ص ١٥١ - ١٥٢ قصيدة أغنية

(٢) الدكتور ناجي ديوان وراء الغمام ص ١٦٧ إلى روح الشاعر

...

أيطربك النأى المرن؟ نعم بلا مرأه ... وإذا احترق النأى الطروب؟
لأربب أنك نأسى، ولسكن رجع الأنغام يرتد إليك من بعيد قدستروح اللحن
كاملا من جديد ... ويختلط الدمع على النأى المحترق بذكرى الشيد، أما أنت
وأنا فقصارانا الدمع ... ومن بكى الجمال الغارب فقد أوفى ... وأما الشاعر
الخلق فإن الحزن يلح به فيهم وحده في ظلام الليل المحجب بالغوامض
والأسرار ... يصوغ الدمع لحنًا ويبعث من الشعر نأيا، وهو المتهدم المتفاني،
وكأنه يمثل صنع الله الذى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل، ويخرج
الحى من الميت ويخرج الميت من الحى، ثم يمضى يوقع أحزانه على النأى
الجديد حتى برق حبيبته ويسرى إليه ... فاذا لاح له الخيال المرموق هفا إليه،
ورف بجناحين واستعد ليحتويه فاذا به لا يجد شيئا ... وإذا بكل هذا حلم
يتلاشى كما يتلاشى غبش العتمة على أنوار الفجر، ويفتح الشاعر عينيه ويحدق
فيما حوله، ويصغى، ويصغى فاذا الخيال هباء، وإذا الألحان أصداء ...

كم مرة يا حبيبى والليل يغشى البرايا

أهيم وحدى وما فى الظلام شاك سوايا

أصير الدمع لحنًا وأجعل الشعر نأيا

وهل يلبي حطام أشـهـلته بجوايا

النار توغل فيه والريح تذرو البقايا

ما أتعس النأى بين المنى وبين المنايا

يشدو ويشدو حزينا مرجعا شكوايا

مستعظما من طوينا على هواه الطوايا

حتى يلوح خيال عرفته فى صبايا

يدنو إلى وتدنو من ثغره شفتايا (١)

إذا بجلى تلاشى واستيقظت عينايا (٢)

فاذا تحمس وأرسل (نداء للشباب) خرج كهمس المنى ، أو وسوسة الموج للشاطئ ؟

ولكن لا نظلم الرجل ، نكمل الآية (لا تقربوا الصلاة ...) ، لقد ورد في شعر النداء بعد هذا ألفاظ الغيل والليوث والنباح وحب مصر والفداء والتضحية ... وردت حقاً هذه الألفاظ القوية ولكن في صياغة رقيقة كالاعتاد من شعر ناجي ، فهونت من فعلها كما يلف قفاز الحرير الأبيض اليد الحشنة فيجيب من الخشونة مظهرها ووقعها .. ولك الكلمة الأخيرة بعد هذا ... ها هو ذا النداء :

أصبحتم كالغيل تحجبه الليوث بألف ناب
قل للشباب : اليوم يومكم الاغر المستطاب
اليوم يبدو حب مصر فلا خفاء ولا جباب
إن كان إثمنا يا شباب فلا رجوع ولا متاب
الله ينظر والليالي عندها لكم الحساب
هاتوا الفدا الغالي لمصر وأرخصوه كالتراب
المال ، والأرواح كل ضحية ولها ثواب

والآن حدثني هل يقول هذا النداء على الاستنفار وإذكاء العزائم ؟

ولعل ناجي أحس هذا المعنى فضاغف من حماسته في القصيدة التالية ، التي أرسلها (في يوم الشباب) ، أو بمعنى أدق ضاعف من حماسة شعره ... فإن حماسة نفسه التواقة إلى خير هذا الوطن وأهله لا تحتاج إلى مزيد ... وما بالمدح هذا ولكنه تسجيل للحقيقة وتقرير للواقع الذي يعرفه عنه مخاطبوه ، ومرضاه وينبض به شعره وأدبه ، وما نحن بمنصفين إن لم نحمد الخير لأهله ، ونغبط على الفضل ذويه ...

(٦)

(٦)

وقصيدة ناجي (في يوم الشباب) فيها أبيات عامرة كقوله :

من يشأ أن يفيض يوما بشكواه فما هذا موضع الأحزان
 قل لشاك هلا مضيت لتجشؤ عند مثنوى ميت من الخلان
 كل شيء حي هنا ، ونبات القبر ينمو في غير هذا المكان (١)
 فسلام مني على الأيام كيف آست في النازلات الجسام
 لم أكن أدري أن جرحا بما كابدت منه من فائك الآلام
 معقب لذة لنفسى واحساس هناء لدى بعد الشام (٢)

ولكن هذه المقاومة كما قلت لك لم تلبث حتى انهارت وهاك لحن الختام :

إن تروا أدمعى فلا تزجروني ودعوني إلى أحب الدموعا
 لتجفف أيديكم أدمعا تنفع قلبا لما يزل موجوعا
 أدمعى ستر مسبل فوق ماض قد تولى ما يستطيع رجوعا (٣)

إني أرمي من وراء هذا إلى دلالة الاختيار ، فناجى وجد خلجاته مصاغة
 فعاش فيها بالقراءة والترجمة والتسجيل ...

وعرب ناجى قصيدة (البحيرة) عن لامارتين ، وإليك مطلعها وختامها
 لتعرف لونها من الحزن أو الفرح .. أما المطالع فهو :

من شاطئ لشواطئ جدد يرمى بنا ليل من الأبد
 ماقر منه مضى فلم يعد هيهات مرسى يومه لغد (٤)
 ... ولننتقل إلى الختام ...

ولييق يا هذى البحيرة في حالبك نائرة وهادئة

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٣٠

(٤) " " " " ١٣٢ ص ٧١

(٢) " " " " ١٣٥ ص ٨٢١ - ٨٢٢

(٣) " " " " ١٣٦ ص ٧١

في باسق للباء منعطف في رائعات الصخر نائمه
في عابر النسبات مرتجفا في النجم فضض صفحة الماء
في الريح أن أنينه وهفا في الغصن نفس حر أحشاء
في الجو معتبقا برياك خطرت ملاعبة رقيق صبا

...

في كل هذا هاتف باكي سيقول يا أسفا لقد ذهبا^(١)

ويبدو أن ناجي مال في سنيه الأخيرة إلى نظم الرباعيات إذ بين شعره
المخطوط منها ٧٦ رباعية منتظمة في سلك واحد، تناول فيها حسن الحبيب
والحنين إليه وإلهاماته واستبطاءه ونواه... وفي هذه الرباعيات أحزان
ووساوس وحسرات وتأملات ونظرات في الحياة والحلى ومصيرهما...
وتنتهى الرباعيات بالتسليم بالواقع... تسليم اليأس الذي لاحيلة له، الزاهد
لأنه لم يجد، لا لأنه وجد فما انتهى أو أراد... ومن هذه الرباعيات:

قلبي مع الناس ولحظي شرود في عالم رجب بعيد الشعاب
عيني على سر وراء الوجود وبغيتي عرش وراء السحاب
أرأيت الغيب الذي لا يرى كشفت لي مالا يراه البصر
ثم انحدرنا نستشف الثرى عل وراء الترب سر السفر

والقمر الفضى بين الغيوم يخفق كالمنديل عند الوداع
واحمراتا، هل صورته الهموم كالزورق الفارق إلا شرع

ومن شعر ناجي الحر هذا المثال من... إلها، :

لم يزل في شميمي عطرك العبق...

وبين جفني خيال أحرص عليه كحياتي

(١) الدكتور ناجي ديوان وراء الغمام ص ١٣٩ - ١٤٠

وفي مسمعى ضحكة حلوة كرنين البلور ...

وبين يدي كنز من يديك مسلمتين ومودعتين

ومن ... بحر وذكري ودمعتان ...

يا الله بما يحمل لي هذا المساء المعطر

المبتل الساكن ... مبتل لأنه

مندى بالدموع وساكن لأنه كالنغم

الذي يسكون صمته أروع من إيقاعه

أحسب أنك تستاف نسيمًا من الغرب ... ولكن لا تنس أنه شرق

الطلعة ، مصرى الروح ... إنك تحسه قريباً منك ... وأنا أيضاً ...

وبعد فان شاعر ناقد غنى وتغزل وناجى واستعطف وتحرق وبكى وشكا ،

ورسم صوراً للحياة والأحياء ، وترجم وعرب وورثى وهجا ومدح ، وما جدوى

الشعر وعمل الشاعر غير هذا :

ما جمال الربيع في الروض إن لم يشد طير في الروضة الغناء

ما جمال السماء والبدر إن لم يشد سار في الليلة القمرام

واضياع النبوغ في مصر إن لم تتحدث منابر الخطباء

واضياع النبوغ في مصر إن لم يك تخليده على الشعراء^(١)

أنا هنا لأدعي أنه من المكثرين ... ولو فعلت ما أغنيت عنه شيئاً ، فإن

الفن بجوهره وكيفه لا يكفه ، والشعر ليس كرمال الشاطئ غير الممدودة

ولكنه كدر القاع غير المنظور ... وهو بهزته ونفاسته أمنية وهدف

وثروة ونعمة ومتاع وجمال ولا لآء ...

(١) الدكتور ناجى - ديوان ليالى القاهرة ص ١٤٠

سأتناول في هذا الفصل شعر المناسبات عند ناجي الشاعر ... وأما ما قرأت لشاعر قط إلا أسقطت شعر المناسبات من ديوانه في غير رحمة لاسيما قصائد المديح، لأنني أنقر من هذا اللون بصفة عامة . وأراه من حيث المبدأ ظلماً للبدايح والممدوح على السواء ... إذ هو غرض من الأول الذي من حقه الارتفاع لخاصة الفن فيه ، وتمثيله له ، وهو ظلم للثاني لأنه يبطر ويفسده ويطنه ويعميه عن حقيقة نفسه وحقيقة الأمور ...

ولكن شعر المناسبات عند ناجي يستحق الدراسة ولو تابعا ، لأن في بعضه بعض الدلالة على الشاعر مما لا غنى للدراسة المستشفة عنه ...

ولهذا الاعتبار وحده أمضى في كتابة هذا الفصل ...

والقصائد التي نظمها ناجي في مناسبات تتضمن الرثاء والمدح والهجاء ..

يحدث أحيانا على حساسية ناجي وعمق عاطفته أن تعصى دموعه في
الرناء...

انظر إلى رثائه اللهم شري^(١) نجد شعرا فيه البلاغة والرصانة وإن كان أقرب إلى المدح منه إلى الرثاء... وانظر رثاءه للشاعر محمد المهر اوى^(٢) تجد

(١) الدكتور ناجي . ديوان ليالى القاهرة ص ١١٥

۱۲۱ ۰ ، ، (۲)

قصيدة فيها توليد شاعر وليس فيها حرقه باك .. ولا تثريب عليه فالحزن
كشكل شيء مران ، وليس الذي يرث صديقا أو زميلا كمن يبكي ولده
أو أباه .. هذا يبكي نفسه وذلك يرث غيره مهما كان .. وكمن بين الاثنين ..

ولعل (شوقي) أظهر من رثاهم ناجى بشعره ، ولسكنه لم يوفه إلا في
قصيدة واحدة هي التي ألهاها بمناسبة ذكرى مرور العام الأول على وفاته ،
فإنه في (ساعة التذكار)^(١) بكاه أحر بكاء وأوفى على الغاية من رثائه ، وهي
صادقة اللوعة ، شجوة الحنين ، مؤثرة الأنين ، عامرة الايات .. إنى كثيرا
ما أذكر هذه الايات المجللة بالدموع :

شجن على شجن وحرقه نار	من مسعدى في ساعة التذكار
قم يا أمير أفض على خواطرا	وابعث خيالك في الذسيم السارى
يا عاشق الحرية الشكلى أفق	واهتمف بشعرك في شباب الدار
يا من دعا للحق في أوطانه	ومضى ليهتمف في ديار الجار
الشام جازعة ومصر كعهدا	نهب الخطوب قليلة الانصار
عام مضى ؟ يا للزمان وطيه	فيما ويا لسواخر الاقدار
أين الإمارة والامير ودولة	مبسوطة السلطان في الامصار
خمسون عاما وهى وارقة الجنى	تحت الربيع دؤوبة الإثمار
مد الخريف على الرياض رواقه	ومضى الربيع الضاحك النوار
هيات أنسى قبل بينك ساعة	جمعت صحابك في غروب نهار
والشمس في سقم الغروب وأنت في	لون الشحوب معصفير بهار
منحت وقد ذهبت شعاعا غاربا	كسناك طوافا على السمار
تشكولى الضعف الملم لعل في	طبي مقبلا من وشيك عثار

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ١٧٢

وكشفت عن متهدم جال الردى متهمجا في صرحه المنهار
 فرأيت ما صنع الضنى في صورة حالت ، وخلي هيكلا كإطار
 ووجعت ألمح في الغيوب نهاية وأرى بعيني غاية المضمار
 وأرى الثبوغ وقد تهاوى نجمه والعبقريه وهى فى الأديار
 فى رغبة ملححة فى أن تقرأ معى أيضا هذه الآيات :

فى ذمة الأجيال ما غنت به قيثارة سحرية الأوتار
 صدحت بألحان الحياة ووقعت أنغامها المحجوبة الأسرار
 والفن ما حاكى الطبيعة آخذا منها ومن إعجازها بغيرار
 مسترسلا رحبا كمين ثرة شتى السيول مسحقة الأغوار
 متعاليا حتى الأشعة مشرقا متألقا كالكوكب السيار
 شوقى انظمت فكنت براخيرا فى أمة ظمأى إلى الأخيار
 أرسلت شعرك فى المداين هاديا شبه المنار يطوف بالأقطار^(١)
 تدعو إلى المجد القديم وغابر طى القرون بحمل بوقار
 تبكى العراق إذا استبيح ولا ترضى على الشأم بمسدم مدار
 وترى الرجال وقد أهين ذمارهم خرجوا لصون كرامة وذمار
 فلو استطعت مددت بين صفوفهم كفا مضرجة مع الأحرار^(٢)

ولقد أفرغ ناجى فى هذه القصيدة كل ما ينبض به قلبه من حب لشوقى
 ووفاء لذكراه حتى إذا دعى بعدها إلى رثاء جديد لم يجد فضلا من قول
 يقوله . فتعلق بأهداب مسرحيات شوقى ! ولكن كيف السبيل إلى هذا والمقام
 مقام رثاء ... وحديث العشق عادة حديث زاه ، وهو أيضا متحلل بضيق
 بالوقار الذى يلازم الرثاء ؟ ... إن الشعراء حيلهم لا تنفذ ... ولهم فى الشعر

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١٧٢ - ١٧٧ ساعة التذكار

(٢) » » » ص ١٧٨

مداخل ومخارج برعوا فيها ...

ليناد ناجي (شوقي) :

يا ساكن الصحراء منفردا بها مستوحشا في غربة وتناثي
هل كنت قبلا تستشف سكونها وترى مقامك في العراء النائي^(١)

ليتخاص بعد هذا بقوله :

فأيت - والدنيا سراب كلها - تروى حديث الحب في الصحراء

ويمضي بعد هذا في وصف قيس وهيامه بخاصة ، وقصة الحب منذ الخليفة
بعامة ... حقا لقد أجاد وصف الحب وأسرره .. ولكن لا ننسى أن المقام
مقام رثاء ... إنه مأزق بلا شك ، ولكن ناجي خرج منه بقوله :

يا للقلوب لقصة محزونة لم ترو إلا روحا يبكاء
خلدت على الدنيا وزادت روعة مما كساها سيد الشعراء^(٢)
وليته وقف عند هذا الحد ، ولكنه تعثر مرة أخرى إذ أردف
هذا بقوله :

خلدت على الدنيا وزادت روعة من جودة التمثيل واللقاء
من فن (زينبها) ومن (علامها) زين الشباب وقدوة النبغاء^(٣)
ما الذي أتى هنا بالتمثيل واللقاء و (زينب) و (علام) .. إنه حشو واستطراد
غير مجزئ .. وإذا كانت القصيدة قد قصد بها الرثاء فهي عندي تتمثل في الأبيات
الثلاثة الأولى فقط .. والشاعر معذور فهو بطبعه قصير النفس ، وكلف نفسه
القول مرتين متلاحقتين في موضوع واحد ، سبق له فضلا عن هذا طرقة

(١) الدكتور ناجي ؛ ديوان وراء الغمام ص ١٨٠

(٢) " " " ص ١٨٢

(٣) " " " ص ١٨٣

أكثر من مرة في حينه فلم يبق لديه شيء يقوله .. وهو إذا أعطى لم يستبق شيئاً كما يقول ...

الرهاء :

هل تصدق أن (ناجي) له في الهجاء شعر ؟ لا تحسبني أتهم فان شاعرنا الرقيق إنسان له غضباته وبدائته وفوراته .. لقد كنت مثلك أستبعد عليه الهجاء ، ولكنني قرأت بعيني هذا الهجاء المرله (في من اسمه عبد الحميد) :

رجل أرى بالله أم حشره سبحانه من بعينه حشره
يا نخر داروين ومذهبه وخلاصة النظرية القدره
أرأيت قردا في الحديقة قد فاته أنثاه على شجره
عبد الحميد اعلم فأنت كذا ما قال داروين وما ذكره
يا عبقر يا شناعته ولدتك أمك وهي معتذره^(١)

إنه يذكرني بابن الرومي وأحده .. وعلى نفورنا من الهجاء في ذاته إلا أننا لا نملك إلا أن نعترف بالفن المصور في مثل هذا الشاهد الذي عرضته عليك .. إن كل بيت على حدة يجعل من المسكين المغضوب عليه هزوا واضحوكة ...

إن الاستفهام في البيت الأول يحمل من التقزز والاشمئزاز ما تعاف منه النفس المظمئنة .. والمفاجأة في البيت الثاني التي أحكمها لفظه (يا نخر) بموقعها في شعر هجاء ، ثم بما تلاها من ألفاظ تحيل معنى الفخر وتزيد السخرية إمعانا ، والصورة البشعة التي تكشف برسمها البيت الثالث ، والبيت الأخير من طراز البيت الثاني .. أو رأيت في الدنيا أقبح من تعتذر أمه عن خلقته بعد أن خففت غريزة الأمومة من وطأة شناعتها الكثير ، ومع هذا

(١) الدكتور ناجي . ديوان ليلى القاهرة ص ٢٠٤

لا ترى (الأم) ندحة لها عن الاعتذار !! ما ذا تريد بعد هذا ؟
وتهمك ناجي عاصف لا يبقى ولا يذر .. هل جاءك خبر الشاعر الذي
هجاه فمسخه ؟ سأسوق إليك حديثه ورأيه فيه :

أيها الحى وما ضر الورى لو كنت متا
أو شعر ا ذاك لا بل حجر ينحت نحتا
تلقم الناس وترميهم به فوقا وتحتا
صحت من يأسى لما بركيك الشعر صحتا
آه يا قاتل يا سفاك ! حتى أنت حتى (١)

إن غريمه ليس نبى شعر ولكنه كافر شعر ...
ولكن الهجاء فى شعر ناجى أمثلة فردية على كل حال ، ولعله فى الأصل
تفسيكه وجاوز طوره ، فان لم يكن فهو بادرة يصعب أن ينبجو من مثلها لإنسان ،
بما فطر عليه من غرائز ، وما ركب فى طبيعه من أهواء .

المصرع :

وفى الديوان من شعر المناسبات مدائح ولكنه فى مدحه مقتصد بوجه
عام فلا يعلى من ممدوحه إلا بما هو أهل له ، وبما هو عليه من فضل ، وما له
من سجايا .. فلا ملق ينحل العاقل صفات الابداد ، ولا نفاق يحلق باصبع
الأرض فى السماء ، حتى لقد قال لأحد ممدوحيه فى بساطة :

لم نكرمك للوزارة والمنصب والمجد والسنا والرواء
نحن قوم نهم بالرجل الكامل يمضى للأمر دون التواء (٢)
وهو من إحساسه وتفززه يخشى أن يسوء تأويل شعره الذى يحمله على
أن يلحق به رياء ، فيقول لذلك الممدوح أيضا عند ما شعر أنه كرر مدحه

(١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة ص ٢٠٥

(٢) " " " " ص ١٤٧

ليس هذا في الحق مدحا بالمعنى التقليدي المعروف عندنا ، ولكنهها زمالة
مشيدة ودود ...

ولقد مدح ناجى الشاعر الدكتور على إبراهيم فهل تحس في مدحته افتعالا
أو صنعة ؟ أم يؤكد لك كل بيت أنه صبيغ من أجل الطب ، من أجل الرحمة ،
من أجل الحنان ، من أجل شفاء الادواء ، من أجل الانسان فى أنبل
صوره ، وأكرم سجاياه ، قبل أن تكون من أجل شخص على إبراهيم ...
ليس فى القصيدة كلها بيت من مبالغة المحب أو وشى الشاعر ، ولكنه الصدق
الذى من حق الرجل أن يقوله ، ومن الغبن أن يخفيه ... يقول الدكتور
ناجى فى انصاف الزميل ونفر المواطن ، وتقدير الوطنى :

ولو أن الآلى انقذت جاموا	يؤدون القديم من الجبيل
ولو أن الآلى علمت جاموا	يؤدون القليل من القليل
ولو منحوك عمرهم جميعا	وما هو بالكثير ولا الجزيل
إذن لرأيت عمرك عمر نجم	له فى اللانهاية ألف جميل
بربك كم وصلت حياة قوم	وكم حاربت من داء وييل
وكم أنقذت من أسر المنايا	وكم نضو شفيت وكم عليل
إذا ما الموت أبدى ناجذيه	إذا انطفأت عيون فى الذبول
إذا غامت محاجرها ظماء	كما غامت نجوم فى الافول
فما هو غير أن أقبلت حتى	تبديل كل أمر مستحيل
كانك لمع برق فى الأعلى	يحى مقدم الغيث الطول
كانك واحة فى القفر لاحت	رأتها أعين الركب الكليل
كانك جنة فى البيد تندى	بعذب الماء والظل الظليل
ولو أيامك العصماء جاءت	بكل أعز مزدان حفيل
إذن لطلعن فى الظلمات بيضا	من الغرر اللوامع والمجول
ولو أن المآثر ذات قول	لقلت تسكلمى وصنى وقولى

أضفها فهي أعمار أضيفت وما تدرى لماضيك النبيل^(١)
هل الدكتور على إبراهيم إلا كما وصف؟ ولو أوقى أحدنا موهبة الشعر
هل يضمن على الجراح على إبراهيم بمثل هذه الآيات؟ هل يستكثر على جراح
مصر هذه الآيات؟ :

تعالى الله كم من معجزات معلقة باصبعك النحيل
محل القسوة الكبرى حنانا ورافعها إلى فن جميل
مبارك من دم أم ساح حرب أسنتها منعمة الصليل
يسير الميضع الجبار فيها بكفك سير مطواع ذليل
معارك كم كسبت بها حياة وما لك في المواقع من قتيل^(٢)

إني أسجل هذه الآيات ولا أضفها فهي من الشعر الذي يحسن بالناقد
ألا يصفه حتى لا يحد جماله بالكلمات، ولكنى أرددها فقل شجيني كالنشيد ،
وأرددها فتسمو بالناساني على التردد ... ليت قادة الحروب يعرفونها
ليعرفوا كم بين الطبيب والقائد ... كم بين من يحيي الميت ومن يميت الحي ...

....

وبعد ، فان الدكتور ناجي ليس مداحا وما كان المدح يوما من هواياته
أو غاياته أو وسائله ، ولكنه شاعر ... شاعر حقا ذلك الذي يقول :

اكتب لوجه الفن لا تعدل به عرض الحياة ولا الحطام الفاني
واستلهم الأم الطبيعة وحدها كم في الطبيعة من سرى معاني
الشعر بملكه وأنت أميرها ما حاجة الشعراء للتيجان
هو مير أمّره الزمان بنفسه وقضت له الأجيال بالسلطان

(١) الدكتور ناجي - ديوان ليالى القاهرة ص ١٢٨ - ١٣٠

(٢) » » » ص ١٣١

فن ناجي الشعري

نقد ناجي شوقي^(١) على ضوء تعريف «لى هنت» للشعر بأنه (موسيقى وإقناع وخيال وصور) .. ومضى يطبق هذه الأوصاف على شعر شوقي .. والذي يهمنا هنا هو تعريفه لعناصر الشعر الأربعة في رأى صاحبه ورأيه .. فالوسيقى عند ناجي هي (من حيث انها تحتاج إلى اللفظ والصياغة والانسجام ، فهي إذن في حاجة إلى الإلمام العظيم باللغة ، هذا إلى ذوق خاص لا يمكن اكتسابه بسهولة ، وإلى أذن تحسن الاستماع وتمييز الأنغام)^(٢) (أما الإقناع ، فهو قوة خاصة في الشعر ، بحيث يضطر الشاعر إلى متابعتها ، وإلى السير وراء رأيه والايان به ، ويملك عليك مشاعرك ، بدون أن يملكك أو يشعرك أنه يقودك وأنت تتبع ساحرا جبارا لا خلاص لك منه)^(٣) .

والخيال ... هو «إطلاق العنان للتصورات العالية ، لا للاستعارات والكنايات اللفظية ...»^(٤) .

وقد تناول ناجي في نقده لشوقي «الصور الشعرية» وهي تعنى عنده (أنك تقرأ قطعة للشاعر فلا تملك إلا أن ترى الشيء مرسوما أمامك بوضوح مجسما قويا بارزا ..) .. أى أن الشاعر ينبغي أن يكون مصورا

(١) مجلة أبولو عدد ديسمبر ١٩٢٢ ص ٣٥٥ - ٣٥٦

(٢) و (٣) المصدر نفسه ص ٣٥٥

(٤) المصدر نفسه ص ٣٥٦

بوضوح ، وألفاظ الشعر يجب أن تكون موحية ..

وهذا التعريف للشعر الذى يؤيده ناجى يتضمن عناصر أخرى وإن لم يميزها بديان - فتعريف « لى هنت » للموسيقى يشير إلى وجوب اللفظ الخاص للشعر أى المختار المصنوع والصياغة تشير إلى الأسلوب ، والانسجام ، إلى التساوق العام والمواءمة بين اللفظ والمعنى ، والمناسبة بين أصوات القصيدة ومسافاتها بحيث تكون كلا موسيقيا مناسكا ..

وتعريفه للاقتناع يحتم بروز شخصية الشاعر وأسرها بحيث يضطرك إلى متابعته ، وإلى السير وراء رأيه والايمان به ، ويملك عليك مشاعرك ، بدون أن يملكك ، أو يشعر أنك أنه يقودك ، وأنت تتبع ساحرا جبارا لا خلاص لك منه .

أما تعريفه للخيال فيحتاج إلى الوقوف عنده مليا .. فإن (إطلاق العنان للتصورات العالية يعين عليه الاستعارات والكنايات ، إذا واثقت في غير تكلف أو استخدمت في غير إغراق أو تطوح أو شطط ، ولا أحسب ناجى ينسكرك هذا الفهم للخيال ، ولعله يقصد الاشارة بالمعنى وحرصه عليه خشية أن يضع في ثنايا اللفظ ، أو ينوء بما يحمل من استعارات ، ويرهق بما يمزج به من كنايات تخرج بالشعر كله من فيض إحساس إلى صناعة أوزان ..

والذى نخرج به من هذا التعريف صريحه ومضمونه هو أن الشعر يقاس بما فيه من :

تصورات وأخيلة .

ألفاظ نقية صافية تشرق بها المعاني .

صياغة متوائمة مع موضوع القصيد .

موسيقى سابعة .

وحدة تنتظم القصيدة هي الوحدة الشعرية .

صحة في الأداء ..

شخصية الشاعر .

وعلى ضوء هذا المقياس نمضي نقيس شعر ناجي ونقدره .. بعد أن نضيف إليه عاملاً آخر هو (قيمة التجربة الشعرية) .

ولنطبق التجربة الشعرية أولاً فهي أحق بالتقديم إذ هي الحافز الذي يثير الشاعر إلى قول الشعر وهي بهذا اللبنة الأولى في بناء القصيدة ، ويشترط ناجي في التجربة الشعرية (الصدق والاقتناع القلبي)^(١) وتسأله : كيف تصهر التجربة ؟ فيقول لك :

د إن الوعي يتصل بغير الوعي .. ثم يطفو عليهما ضباب ملون مشبع بالذكريات .. وهذا الضباب يغطي أجزاء التجربة حيث يجري تركيبها من جديد .. لا حسبما وجدت في الطبيعة ، بل حسبما رآها الفنان .. ومن ذلك يتضح لنا لماذا قال سانت بيف د إن الفن مزاج فردي ، .. ويتضح كذلك أن النقد يتعين عليه تمييز الأساليب لا تطبيق القواعد ..^(٢)

هل كان شعر ناجي وليد انفعالات أثارها في نفسه دوافع خارجية أثرت فيه ؟ أو عوامل داخلية نتيجة لاستبطانه نفسه ؟ نعم عندي هي الجواب الصحيح ، فقد كان ناجي في معظم شعره يصدره عن طبع وتأثر ؟ وقد رأينا في الفصل الأول موجات نفسه في شعره وكيف كان هذا الشعر صدى لما اعتمل في تلك النفس من مشاعر ..

عرض الأستاذ مصطفى سوييف لرأى تاوولس R. H. Thouless في الابداع الفني ، وعنده أن (الخطوة الأولى نحو تحليل الابداع الفني ، سواء أكان إبداع قصيدة أم إبداع صورة أم كان غير ذلك ، هي الكشف عما شهده

(١) و (٢) من مقال للدكتور ناجي بعنوان (الفن والحياة)

الشاعر من نقص في بيئته وكيف دفعه شعوره بهذا النقص إلى تفقد الحل
الذي يرضيه ، ويقرر أن الابداع نشاط اجتماعي من بعض نواحيه ، وأن
الفنان إنما يريد به أن يوقظ بعض استجابات معينة فيمن يشهد فنه .. (١)
وقدر أينا في فصل (ناجي الشاعر) و (شعر ناجي) شواهد على
هذا التفسير .

وبشايح الأستاذ سويف ، لنجفيلد في أن الابداع بمعناه الدقيق يقوم
على حياة ملؤها مشكلات تثير القلق والاضطراب ... (٢)
وأيضا كانت حياة ناجي ملؤها الفراق والاضطراب ... إذن شعر ناجي
وليد دوافع صادقة يعترف بها علم النفس الحديث ، في شعر ناجي تجارب
شعرية ... انفعالات ... هزات ... أحاسيس .
ووقف الشاعر ينتظر تحت العاصفة والظلام والبرد ، فأوحى الانتظار
إليه هذه الأبيات :

أرى الآباد تغمرني كبحر	سحيق الغور مجهول القرار
وياتمر الظلام على حتى	كأني هابط أعماق غار
وتصطخب العواصف ساخرات	وتطعنني بأطراف الحراب
وتشفق بعد ما تنسو فتعضي	لتقرع كل نافذة وباب
فصحت بها إلى أن جف حاق	فحين سكت كلني إبان
وأشعرتني العذاب بعمق جرحي	وأعرق منه جرح الكبرياء
ولما لم تفز بقلبك عيني	لمحك آتيا بضمير قلبي
فاسمع وقع أقدام دوان	وأنصت مصغيا لحفيف ثوب
وأخق مثليا أهوى خيالا	وأستدني الأماني والحبيبا

(١) الأسس النفسية للإبداع الفني ص ١١١ - ١١٢

(٢) الأسس النفسية للإبداع الفني للأستاذ مصطفى سويف ص ١١١ - ١١٢

وأبدع مثلها أهوى حديثا لناء صار من قلبي قريبا
أمد يدي في لطف اليه أشاكيه بمحتبس الدموع
فيسبقني إلى لقيه قلبي وثوبا ثم يرد في ضلوعي^(١)
هنا قلق وتفزز، وتمن ولطفة ...

وناجي المرفف الحس المتوفز الأعصاب يوحى اليه الانتظار آيات ...
وهذه تجربة هي صورة المنتظر بإحلامه وأوهامه :

أعدا قلت ! فعلمني اضطبارا ليتني أختصر العمر اختصارا
عبرت بي من نشوة من فرح فرقصنا أنا والقلب سكارى
وعرانا طائف من خيل فاندفعنا في الأمانى نتيارى
سنذم النور حتى يتلاشى ونذم الليل حتى يتوارى
انفردنا أنا والقلب عشيا ننسج الآمال والنجوى سويا
فركبنا الوهم نبغى دارها وطوينا الدهر والعالم طيا
فبلغناها وهللنا لها ونزلنا الخلد فينانا نديا
ولقينا الحسن غضا والصبا وتملينا الجلال الأبدى^(٢)
وهذه تجربة من صنع المرأة التى نظر اليها ثم حاول التنفيس فكانت
هذه الآيات :

ياويلتا من عمرى الباقي هذا سواد تحت أحدى
هذا بياض الشيب وأعجبي من مغرب فى زى إشراق
ويلي على كأس معربة وعلى دم فى الكأس مهراق
وعلى سراب خادع وعلى متألّق اللّمحات براق

(١) الدكتور ناجى . ديوان وراء الغمام ص ١١٥ - ١١٧

(٢) » » » قصيدة الغد ص ٩٧ - ٩٩

طاف الزمان به على نفر مالوا بهامات وأعناق
صرعوا وأنت تظنهم سكروا مات الندامى أيها الساقى (١)

ومن تجارب ناجى الشعرية قصيدة (رسائل محترقة) التي عدها الأستاذ السحرقى من التجارب الوجدانية ذات التعبير المرفف الحساس (٢) ، وهى بلا مراة تجربة شعرية ممتعة مشبعة .. ويغالى بها الأستاذ السحرقى ، قصيدة وجدانية رائعة تتوهج فى ثوب قصصى جذاب ، وانفعال رثاب حساس ، ووحدية قوية ، وموسيقى ارتسكازية .. ولا يدع الحديث عنها إلا بعد أن ينظمها فى (مفاخر شعرنا العصرى) (٣) .

كما نوه الأستاذ السحرقى بقصيدة ناجى (قلب راقصة) (٤) وهى عنده (قصيدة عجيبة تمثل تجربتها أمام القارئ حبة ناطقة ، فهى تبرز حال المنفرج فى المرقص ، وتكشف عن الراقص ، وتنبثق منها موسيقى مختلفة النغمات متحدة القرار ..) (٥) .

ويغالى ناجى - بحق - بقيمة التجربة الشعورية ، وإنك حين تقرأ حديثه عنها تحس أنها روح العمل الفنى وجوهره ، وسأسوق إليك الحديث .. (قد يخيل للانسان أن الفن محاكاة للطبيعة ... وبهذا قال أرسطو قديما ... حقا إن الإنسان من بدء حياته ينقل عن الطبيعة لأنه لا يرى شيئا دونها ينقل عنه ... ولكن ذلك غير صحيح ، لأن الصحراء الجرداء لا معنى لها بدون أن يخلع عليها السارى خياله وحداءه ... والجبل الأجذب قائم - خفيف ، لولا ما يخلع عليه الانسان من السمو والتفرد ...

-
- (١) الدكتور ناجى ديوان ليالى القاهرة قصيدة شكوى الزمن ص ٧٥
(٢) و(٣) كتاب (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) للأستاذ مصطفى السحرقى ص ٢٩
(٤) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام ص ٣٦
(٥) كتاب الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للأستاذ مصطفى السحرقى ص ٤٥

وهذا هو الفرق بين الرسم والفوتوغرافيا والرسم باليد ...
هـب أنك أخذت صورة لشحاذ على قارعة الطريق بالفوتوغرافيا ...
ثم رسمت هذا الشحاذ على لوحة فنية فإن الثانية أوقع بلا جدال ، والسبب
في ذلك أن الفنان يخلع على الصورة تجربته الشعورية الخاصة ويخلع عليها
الحساس ويضيف إليها اللهب الذي يضيئها ويجلو جلالها (١) .

الخيال في شعر ناجي :

قدم الأستاذ دسوقي أباطه لديوان (ليالى القاهرة) فسجل لشاعرنا
أنه من أقطاب المدرسة الحديثة التي (تنسم بطابع الجدة والطرافة ،
وبالأسلوب الأنيق والعبارة السهلة وهي تحتفل بالفكرة أكثر مما تحتفل
باللفظ ، وتعنى بالموسيقى والروتين ، قبل عنايتها بالصياغة والصنعة ...)

ولعل الأستاذ دسوقي شعر بحاجة هذا التعريف إلى مزيد من الإيضاح ،
كما شعرت أنا بيهض التناقض بين الأسلوب الأنيق و (قلة الاحتفال باللفظ)
وتأخير العناية بالصياغة ١ .

أما الإيضاح فقد استعان عليه الأستاذ دسوقي ببسط أبيات لناجي تعين
بشواهد على التفسير وهامى قى الأبيات :

إن خاني اليوم فيك قلت غدا وأين منى ومن لقاك غدا
إن غدا هوة لناظرها تسكاد فيها الظنون ترتعد
اطل في عمقها أسائلها أفيك أخفى خياله الأبد
يا لأمس الجرح ما لذي صنعت به شفاه رحمة ويد
ملء ضلوعى لظى وأعجبه أنى بهذا اللهب أبرد

وهذا هو التفسير : (فالتعبير عن الغد المجهول بالهوة العميقة ، وعن

(١) من مقال للدكتور ناجي (الفن والحياة) في مجلة الكواكب

ويتصل بالخيال « التجسيم » وهو وثيق الصلة بالاستعارة ، غير أن المشبه به في التجسيم هو الانسان الذى يخلع الفنان صفاته وسماته على الأشياء والأحداث ...

والدكتور ناجى ولوع بهذا اللون من التعبير ، وهو شيق ما لم يبتذل ويصنع صنعا يثير غضب رسكين منه حتى ليعده « مغالطة عاطفية » (١) .
وتجسيم ناجى يتمثل فى مثل قوله من ملحمة السراب :

أدركى زورقى فقد عبث اليم به والعواصف الهوجاء
والعباب العريض والأفق الموحش والالنهاية الخرساء
أفق لا يحيد للعين قد ضاق فأمسى والسجن هذا الفضاء
سهرت ترقب الصباح وعين النجم كلت وما بها إغفاء (٢)
واستهل ناجى قصيدة (الخريف) بهذه الأبيات المجسمة :

يا حبيبي غيمة فى خاطرى وجفونى ، وعلى الأفق سحابة
غفر الله لها ما صنعت كلما شاكتها تندى كآبة
صرخ القفر لها منتحبا وبكى مستعظفا مما أصابه
فأصم الغيث عنه أذنه ما على الايام لو كان أجا به (٣)

وغضب ناجى مرة غضبة مروعة فتخيل الطبيعة بأحداثها تتربص به ،
فصرخ فى وجهها :

اعولى يا جراح اسمعى الديان
لا يهم الرياح زورق غضبان

(١) راجع كتاب « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » للاستاذ السحرقى .

(٢) الدكتور ناجى ديوان (ليالى القاهرة) قصيدة السراب فى الصحراء ص ٩١

(٣) » » » » الخريف ص ٢٠٦

اسخرى يا حياة قهقهى يا رعود
الصبا لن أراه والهورى لن يعود
اطحنى يا سنين مزقنى يا حراب
كل برق يبين ومضنه كذاب^(١)

ومن ديوانه - وراء الغمام - هذا المثال :

تعال ! فلم يعد فى الحى سار وهومت المنازل بعد وهن
وران على نوافذها ظلام وقد كانت تطل كألف عين
تعال ! فقد رأيت السكون يحنو على ويدرك السكرب الملبا
ويجاولى النجوم فأزدرىها وأغمض لا أريد سواك نجما^(٢)
ومن (وراء الغمام) استشهد الأستاذ السحرقى بهذه الايات من
قصيدة العودة :

والبلى ! أبصرته رأى العيان وبداه تنسجان العنكبوت
صحت ايا ويحك تبدو فى مكان كل شىء فيه حى لا يموت
كل شىء من سرور وحزن واللىالى من بهيج وشجى
وأنا أسمع أقدام الزمن وخطى الوحدة فوق الدرج

ألفاظ ناجى :

وألفاظ ناجى الشاعر الطيب سهلة حنانة ودود توحى إليك وتهمس فى
أذنك ، وتذكرك بأشياء كثيرة ... وهى أصفى ما تسكون حين يناجى ناجى

(١) الدكتور ناجى ديوان لىالى القاهرة قصيدة عاصفه روح ص ٦١ - ٦٢

(٢) » » وراء الغمام قصيدة الانتظار ص ١١٤ - ١١٥

(٣) » » » » » العوده ص ١٧

حبيبته .. هنا يعرف جيداً كيف يختار ألفاظه .. ومن صلاته في محراب الحب
هذا التشديد :

أرى في عمق خاطرك جلالاً يشبه البحراً
والمح في نواظرك صفاء الرحمة الكبرى
وأنت رضى وتقبيل وأنت ضنى وحرمان
وفى عينيك تقبيل وفى البسمات غفران
وأنت تهلل الفجر وبسمته على الأفق
وحينا أنه النهر وحزن الشمس فى الغسق
وعندك كل ما أظماً ورد القلب لهفاناً
وعندك كل ما أدمى وزاد الجرح إثمناً
وعندك كل ما أحيا وشدد عزمه الواهى
حنانك نضرة الدنيا وقربك نعمة الله (١)

هذه ألفاظ مستديرة ناعمة الملمس كالشفافة كما تقول أدب سبتول
الشاعرة الانجليزية (٢).

- (١) ديوان ناجى (وراء الغمام) قصيدة صلاة الحب ص ١١٨ - ١٢١
(٢) تعيب « أدب سبتول » الشاعرة الانجليزية المعاصرة ، على بعض الشعراء
المحدثين ضعف شعورهم بالنسيج اللغوى ، وايس الامر مقصوراً على ان نسيج البيت
الشعرى أو نسيج القصيدة لا يدل على شىء فى نظرهم ، بل ان شكل اللفظ ووزنه ...
قد اصبح كل منهما منسيا ... فمؤلاً الكتاب لا يرون للكلمات ظلاً تضيفه ، ولا
شعاعاً تشعه ، وليست تتفاوت فى طولها وعمقها ، ولا يعرفون ان الكلمة قد تنالاً كما
يتلألا النجم المنعكس على صفحة الماء ، وان اللفظ قد يكون مستديراً ناعماً الملمس
مجلة الادب والفن - ج ٢ السنة ٣ - بقلم الانسة بيرل دى فوت . النص منقول
عن كتاب الاسس النفسية للإبداع الفنى للاستاذ مصطفى سويف ص ٢٨١ (٢)

وقليلاً ما تتصلب ألفاظ ناجي وتصطنع الشدة والصرامة كما مر بنا في قصيدته (عاصفة روح) ... ولكن تعبيره في الغالب يغرورق رقة وتغلب هذه الرقة عليه حتى في قصائده الوطنية الحماسية، كما سيأتي بعد قليل ...

الموسيقى في شعر ناجي :

أجل ! أهواك أنت مني حياقي وأنت أحب من بصرى وسمعى
وهل أنساك كلا لست أنسى هوى قد كان إلهامى ونمعى
لبست من التصبر عنك درعا فما أنا بتنزع الأيام درعى
وما أنا لا أدارى عنك سرا عرفت محبى ورأيت دمعى
تلاشت قوتي وغدا فؤادى كأن خفوقه خليجات نزع
أبشره فيرقص في ضلوعى وأنظر سـود أيامى فأنعى
وقد نضب الخيال وغاص طبعى ومات على حياض البأس زرعى
أجر جر وحدثني في كل حشد وأحمل غربى في كل جمع^(١)

أليست هذه الموسيقى السابغة شجية حنانية ؟

وهذه لفظة من لفظاته الشعرية :

هات اسقنى واشرب على سر الأسى وعلى بقايا مهجتي وشجاها
مهلا نديمى ! كيف ينسى حبا من يشهد السلاوى على ذكراها
مازلت تسقى لتنسني الهوى حتى نسيت فما ذكرت سواها^(٢)

وهذا غناء :

وأناديك في التذاني وما أطمع إلا أن يستجاب النداء
باسمك العذب إنه أجمل الأسماء مهما تعددت الأسماء

(١) الدكتور ناجي . ديوان ليالى القاهرة قصيدة بعد الفراق ص ٧١ - ٧٢

(٢) قصيدة يأس بعد كأس ص ٥٩ - ٦٠

لفظة لا تبين تنطلق الأقدار عن قوسها ويرمى القضاء
وهى بين الشفاء نأى وتغريد وطير وروضة غناء
وهى فى الطرس قصة تذكر الأحباب فيها وتحشد الأنباء^(١)
وأنعام ناجى عند الأستاذ السحرقى تتميز بالإثارة والانفعال ويمثل لهذا
بهذه الفقرة من قصيدة (العودة) :

رفرف القلب بجنبى كالذبيح وأنا أهتف يا قلب انتد
فيجيب الدمع والماضى الجريح لم عدنا ؟ ليت أنا لم نعد
لم عدنا أو لم نطو الغرام وفرغنا من حنين وألم
ورضينا بسكون وسلام وانتهينا لفرغ كالعدم

وقد لاحظ الأستاذ السحرقى على قصيدة العودة اختلاف فقراتها فى
موسيقاها النوعية ، فالآيات الأربعة السابقة (تختلف فى موسيقاها مع هذه
الآيات التى جاءت مطالعا للقصيدة وهى) :

هذه الكعبة كنا طائفها والمصابين صباها ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسنى فيها كيف بالله رجعنا غرباء
دار أحلامى وحى لقيتنا فى جمود مثلها تلقى الجديد
أنكرتنا وهى كانت إن رأتنا يضحك النور لنا من بعيد

فالآيات الأولى منفصلة ذات نغم ارتكازى ، والآيات الثانية هادئة
ناعمة منغمومة ..

ولناجى غرام فى الخروج عن الوحدة الكلية الموسيقية فى القصيد ،
وربما كان توحيد النغم فى القصيد كله خيرا من تجزئته ، وإن كان هذا التنويع
لاغبار عليه^(٢) .

(١) الدكتور ناجى . ديوان ليلالى القاهرة قصيدة ملحمة السراب ص ٩١ - ٩٢
(٢) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرقى ص ٥٢

والاستاذ الناقد لم يجانب الصواب فيما ذهب اليه ، فان الوحدة الموسيقية عند ناجي غير مطردة في ديوانه ... فديوانه (وراء الغمام) به ٣٨ قصيدة موحدة القافية والصوت وعشر قصائد مزدوجة القافية وقصيدتان على نظام الرباعيات وآخران تتغير القافية فيهما كل أربعة أبيات وقصيدة تتغير القافية فيها كل ثلاثة أبيات .

فاذا تناولنا ديوانه الثاني (ليالى القاهرة) ألفينا القافية أكثر اطرادا في هذا الديوان منها في الديوان الأول . فالقصائد الموحدة في (ليالى القاهرة) يرتفع عددها إلى ٦٥ قصيدة بينما المزدوجة ست .. وفي الديوان ثلاث قصائد تتغير القافية فيها كل أربعة أبيات ...

ولما كان ناجي ينظم الشعر بالسليقة فانه يطيب له أحيانا أن يجعل لكل بيتين قافية ، وفي أثناء القصيدة تعثر له على أربعة أبيات من قافية واحدة كالتلاحظ في قصيدته (لقاء في الليل) (١) . .

ولعل هذا من أبرز آثار الأدب الغربي فيه إن لم يكن أبرزها فقد قرأ فيه كثيرا ، ووعى عنه كثيرا ، ولكن تجديده في المعاني والصور لا يتميز مثل هذا التميز الذي يطالعنا لأول وهلة متبديا في قوافيه وأوزانه ...

ولا عذر لناجي عند أهل المدرسة القديمة من مطولات يدفع سأمها بتنوع ، فهو ينوع حتى في المقطوعات القصيرة .

والمدرسة الحديثة تدرك هذا جيدا فان الاستاذ دسوقي أباطة عند ما قدم لديوان ناجي (ليالى القاهرة) سجل أن من بواعث الهجوم الذي تعرضت له هذه المدرسة (خلق بعض الأوزان التي لم يسبق أن نظم غيرهم منها ...) وهنا استدل بقصيدة (عاصفة روح) التي استهلها الدكتور ناجي بقوله :
أين شط الرجاء يا عباب الهموم

(١) الدكتور ناجي ؛ ديوان ليالى القاهرة ص ٣٥

ليلى	أنواء	ونهارى	غيوم
أعوى	يا جراح	أسمى	الديان
لايم	الرياح	زروق	غضبان
اسخرى	يا حياة	قهقهى	يارعود
الصبا	لن أراه	والهوى	لن يعود ^(١)

فهذا الوزن لا يوجد له نظير في أوزان البحور المعروفة ، وربما كان اعتماد الشاعر فيه على السماع والايقاع ، (٢) .

ومن شعر ناجى الايقاعى ذى المسافة الصوتية القصيرة قصيدته (من ن
الى ع) التى استعملها بقوله :

يا شطر نفسى وغراس الوحيد ماشئت ياليلى لا ما أريد
يامن رأت حزنى العميق البعيد داويت لى جرحى بجرح جديد^(٣)

ونلاحظ أن ناجى فى قصائده الموحدة القافية جياش العاطفة ، كملحمة
السراب ، وهى من أروع ما قال وهو فيها مندفع فى قوة ، مسحر تواتيه
القوافى والمعانى والالفاظ ، فلا حاجة به إلى التعمير والتوسل بقواف
جديدة . . .

ولم ينظم الدكتور ناجى شعرا مرسلا أو شعرا حرا . والشعر المنححر
من القافية بعد هذا يجد من يسمع فى تلاوته موسيقى عذبة ويجد فيه

(١) الدكتور ناجى ديوان ليلالى القاهرة ص ٦١ قصيدة عاصفة روح

(٢) هذا رأى الأستاذ دسوق أباطة أسجله كما هو . . .

(٣) الدكتور ناجى . ديوان ليلالى القاهرة قصيدة من ن إلى ع ص ١١١ (١)

أقرر الحقيقة وهي أن قارىء ناجى يفتقد أحيانا (قليلة) الموسيقى، أى يفتقد أهم عناصر الشعر مثل قوله يستهل قصيدة (الحياة) :

جلست يوما حين حل المساء وقد مضى يومى بلا مؤنس
أريح أقداما وهت من عياء وأرقب العالم من مجلسي^(١)
ومن شعر ناجى الذى يدخل فى باب النثر أو هو نثر مشطر لو جاز هذا
التعبير هذه الأبيات من قصيدة (إلى مروح الشاعر) التى ألفت فى حفلة
الذكرى للشاعر المرحوم طانيوس عبده (سنة ١٩٣٤) :

قللى ما الذى لدى لك من الخير يا قلم
قم فذكر وناج قومك واخطب وقل لهم
ذلك الشاعر الذى بات فى خاطر الظلم
هو منكم وفنه علم الله فنكم
ذلك الشاعر الذى روحه الآن بينكم
لكأنى أراه حيا وألقاه عن أمم
غاشيا كل متدى على الرأس محترم^(٢)
.....

(١) (شبكة غدا) سنة ١٩٣٤ (مكة) ١٩٣٤ (١)

(٢) (شبكة غدا) سنة ١٩٣٤ (مكة) ١٩٣٤ (٢)

(٣) (شبكة غدا) سنة ١٩٣٤ (مكة) ١٩٣٤ (٣)

(٤) (شبكة غدا) سنة ١٩٣٤ (مكة) ١٩٣٤ (٤)

(٥) (شبكة غدا) سنة ١٩٣٤ (مكة) ١٩٣٤ (٥)

(٦) (شبكة غدا) سنة ١٩٣٤ (مكة) ١٩٣٤ (٦)

(٧) (شبكة غدا) سنة ١٩٣٤ (مكة) ١٩٣٤ (٧)

(٨) (شبكة غدا) سنة ١٩٣٤ (مكة) ١٩٣٤ (٨)

(٩) (شبكة غدا) سنة ١٩٣٤ (مكة) ١٩٣٤ (٩)

(١٠) (شبكة غدا) سنة ١٩٣٤ (مكة) ١٩٣٤ (١٠)

(١) الدكتور ناجى ديوان وراء الغمام قصيدة الحياة ص ٢٩

(٢) (٢) ٢٧٢ ، ١٦٦

مواد الصياغة لموضوع القصيدة عند ناجي :

أسلوب ناجي ينبع من موضوعه ويتكيف به ويؤديه في لدونة مطواع
ولكن هذه الموازنة بين الصياغة وموضوع القصيدة تفوته أحياناً في الرثاء
والحماسة .. وقف ناجي يرى الشاعر المرحوم طانيوس عبده في حفلة ذكره

موقف حان فاغتمم وتخير من الكلام
كل لفظ أرق من ضحكة الزهر للديم
مستمد من الربى مستعار من النسم
أجمع الآن طاقة غضة النور تبسم
أهداها روح شاعر خالد بالذي نظم^(١)

موقف حان فاغتمم ! ألا يشعر هذا الاستهلال بأنك سامع عما قليل
وصف لقاء كان ينتظره الشاعر طويلاً وقد أعد لتحيته الزهر الضاحك
والألفاظ الرقيقة . وإلا فقل لي أي اغتنام في الموت وأي فرصة فيه تهتبل ؟
وقد مر بنا كيف فتر في تأييده لشوقي مبنى ومعنى حين أجاد رثاءه في
حفل ذكره ، ويبدو أن المفاجأة لم تترك له وقتاً يجود فيه .. فليس فتور
تأييده معناه أن خطب شوقي لم يمدح (ناجي) ... كلا .. إنه عندي الآية
على عمق جرحه فيه ، وشدة تأثره بفقدته .. ولست هنا أديج لفظاً أو أستمل
عاطفة ، فإن الدراسات النفسية تقرر أن الفنان يندفع (نتيجة لالتقاء تجربتين^(٢))

(١) الدكتور ناجي ديوان وراء الغمام ص ١٦٦

(٢) يصف الأستاذ سوييف خطوات الابداع عند الشاعر بهذا المثال : لقد (أنته الآن
تجربة متصلة بالانا بعثت عنده آثار تجربة قديمة جرت على الانا ، وقد تبادلت التجربتان
التأثر والتأثير واختلط الأمر على الشاعر فكأنه في دوامة .. ولا يمكن أن يستقر
الانا في مثل هذه الحال ؛ لأن الاستقرار لا يتم إلا إذا كانت أجزاء المجال واضحة المعالم

يندفع في نشاط يهدف إلى خفض التوتر وإعادة الاتزان ، ويكون هذا النشاط منظماً بفعل الاطار ، فتكون النتيجة قصيدة . ومن المحقق أن اختلال الاتزان يختلف باختلاف التجارب التي يلقاها الفنان ، بحيث يمكن أن نتحدث عن اختلال سطحي واختلال عميق واختلال بالغ واختلال ضئيل . ويبدو أثر ذلك في صعوبة عودة الاتزان إلى الأنا وتأخر هذه العودة فترة طويلة أحيانا . وعلى هذا الأساس نستطيع أن نعلل كون فيكتور هوغو لم يستطع أن يبدع من معين وفاة إلا بعد مرور عام على هذه الوفاة ^(١) .

وعلى هذا الأساس أيضا نستطيع أن نعلل تخلف ناجي في تأيين شوقي وإجاداته رثاءه بعد عام من وفاته ... إن التوتر والاختلال الذي أصابه بوفاة شوقي عميق بالغ ، جعل من الصعب عودة الاتزان إلى الأنا ، وتأخر بهذه العودة عاما كاملا ، حتى استطاعت آثاره أن تقترب من الانتظام .

هذا في الرثاء أما في الحماسة فقد استمر ضنا معا نداه للشباب ^(٢) ، ورأينا أسلوبه فيه موسيقاه هيئة لينة رقيقة كشأنها في سائر قصيده ...

والموسيقى الوطنية مدوية متدافعة مستنفرة عالية ، يترامى صداها إلى بعيد ... وشعر ناجي كما يصفه الدكتور طه حسين (كهذه الموسيقى التي يفسدها الفضاء الطاق وتضيع في الميادين الواسعة ، وتجوّد كل الجودة ، وتحسن كل الحسن حين تغلق الأبواب ، وترخي الأستار ، ويخلو النجى إلى النجى ،

واضح الصلات ، أي أنها هي نفسها في حالة استقرار ؛ فإذا لم يتوفر ذلك ظهرت بالأنا توترات تدفعه إلى محاولة التوضيح كما يتحقق الاتزان) .

(١) كتاب الأسس النفسية للإبداع الفني ص ٢٦٧ ، لا آمنه شعبي لكتاباته فريجة

(٢) كتاب الأسس النفسية للإبداع الفني ص ٢٦٨

(٣) ديوان ناجي وراء الغمام ص ١٥٨ - ١٥٩

ويفرغ الصنى للصنى ، ويتمتع الحبيب بقرب الحبيب (١) أو كما وصفه في مكان آخر بأنه (أشبه بما يسميه الفرنسيون موسيقى الغرفة) (٢) .

الوحدة الشعرية عشر ناهي :

يعرف الأستاذ السحرتي الوحدة الشعرية بأنها (الرباط الذي يضم التجربة ، والصور ، والانفعالات ، والموسيقى والألفاظ في وشاح خفي أثري ، وهذه الوحدة يتكامل القصيد وتدب فيه الحياة) ...

وتلح هذه الوحدة ، ابتداء من دوران أبيات القصيد دورانا منطقيا شعريا ، وتنقل هذه الأبيات تنقلا فكريا ، ويتأتى هذا من توفر التجربة الشعرية وعرضها عرضا جماليا ، وصياغتها صياغة محكمة - صياغة لاهي بالطويلة المجررة ، ولا بالقصيرة الكاشفة ...

وتقوم كذلك الوحدة على اتجاه الصور الخيالية بالقصيد التجبها موحدا (٣) ، وما يزيد الوحدة حركة وتماسكا ، حدة الانفعال الشعري وجمال الموسيقى (٤) .

(ولا يقف هيكل الوحدة الأثري عند التسلسل المنطقي ، ولا الصور الحية ولا الموسيقى المتوائمة مع معاني القصيد ، بل أن للألفاظ وتموجاتها وتوافقها وحرية نظامها دخلا كبيرا في تكوين هذا الهيكل . ونقصد بنظام الألفاظ الحر عدم التقيد بالأسلوب النحوي الجامد في تركيب العبارة) (٥) .

(١) و (٢) كتاب حديث الأربعاء ، للدكتور طه حسين ج ٣ ص ١٥٢ (٣)

(٣) كتاب (الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث) للأستاذ السحرتي ص ٨٢

(٤) نفس المصدر ص ٨٤

(٥) د د د ص ٨٥

لقد مر بنا من شعر ناجي الكثير ... وهو - ماعدا أمثلة فردية سنتناولها عند مناقشة « صحة الأداء » - زاخر بالتجارب الشعرية والصور الملونة ، والانفعالات الهازة ، والموسيقى الحنون ، والألفاظ الموحية العذبة وإن لم يبلغ في ألفاظه مبلغ شعراء لبنان المولعين بالنحت اللفظي والاطراف .. كل هذا في صياغة مشبعة متمعة متسلسلة ، في غير فضول أو قصور ... ولا أريد أن أضرب أمثلة جديدة تؤيد مذهبتي إليه ، فليرجع إلى ديوانيه من يشاء ...

أما الوحدة بمعنى اطراد القافية في القصيدة كلها فلم يتقيد ناجي بها ، فقد زواج وأربع متحررا من القافية عامدا في رأيي تمثلا بشعراء الغرب المحدثين الذين لا يلتزمون الوحدة الشعرية عن فكرة ... فهي عندهم تمسك بما لا يلزم لمجرد التقايد ... ويبدو أن (ناجي) كان من أنصار هؤلاء ...

صحة الأداء :

وصف الأستاذ دسوقي أباطة (ناجي) في مقدمة ديوان (ليالي القاهرة) بأنه (شاعر لا يكتب إلا ما يتحرك له حسه ، ويفيض به خاطره ، فالشعر عنده عاطفة نارية ، تتشكل في الأسلوب الذي يلائمها ، والقالب الذي يتساق معهما ... ومن هنا أخذ بعضهم على الدكتور ناجي ، أنه ينحرف في أسلوبه عن جادة الأسلوب العربي الصحيح ، من حيث إحلال الألفاظ في غير معانيها ...)

ولعل الأستاذ دسوقي كان يلح الدكتور طه حسين الذي نصح الشاعر (ناجي) في نقده ديوان (وراء الغمام ^(١)) بأن يعنى بلغته وكرر له النصيح . وهذا المأخذ في رأي الأستاذ دسوقي مأخذ مردود (فاللفظ الواحد

(١) حديث الأربعماء للدكتور طه حسين ج ٣

عند الشاعر ، يدور على أكثر من معنى ... والشاعر مسوق بعاطفته نحو موضوعه ، وهى التى تلون أساليبه ، ولها من قوتها الجارفة ماتستطيع به أن تسم الألفاظ بأبعد معانيها ... ولغة الشعر ، غير لغة القاموس ، والشاعر يتأثر وينفعل ، ثم يعتمد إلى تصوير مرئياته فى حرية لاتتاح لغيره ، لأنه ينقل عن ذات نفسه مايتخلق فيها من معان مجنحة ، بعيدة على حد تصوير الشعر ، فيختار لها ألفاظا لايقرها القاموس ، ولا يستسيغها قلم الكاتب ، وذلك هو مفترق الطريق بين الشاعر الذى يستشرف إلى الآفاق الجديدة ، وبين الشاعر الذى لايجرى إلا فى غبار القدامى .

احسب أن المعانى المجنحة البعيدة على حد تصوير الشعر ، والاستشرف إلى الآفاق الجديدة لاتقرر هذا التشبيه :

وإذا النور نذير طالع وإذا الفجر مطل كالحريق
وإذا الدنيا كما نعرفها وإذا الأحباب كل فى طريق^(١)

إن تشبيه الفجر النادى الالاق بالحريق غير موفق ، ولو أن عذره مائل فى أن الفجر هذا نم عليه ففزع ، وانتزع منه رفيقه فأسف ...
وبما وقع فيه ناجى هذا التشبيه غير الموفق للحب :

ياغراما كان منى فى دمي قدرا كالموت أو فى طعمه
قد قضينا ساعة فى عرسه وقضينا العمر فى مأتمه
ما انتزاعى دمة من عينه واغتصابى بسمة من فمه
ليت شعرى أين منه مهرى أين يمضى هارب من دمه^(٢)

على أن هذا التشبيه لم يمنع الأستاذ دسوقي أباطة من الاستشهاد بالمقطوعة

(١) الدكتور ناجى ، ديوان وراء الغمام . الوداع ص ٥٦ (ديوانه)

(٢) الدكتور ناجى ، ديوان (ليالى القاهرة) الأطلال ص ٤١

على أن الشاعر بلغ القمة في ملحمة الأطلال .. وملحمة الأطلال من أروع
ماقال .. ولكن أولى بالتمثيل عندي هذه المقطوعة الرقيقة الخناة :

لست أنساك وقد أغريتني
ويد تمتد نحوى كيد
آه يا قبة أفدامى إذا
وريقا يظما السارى له
بهم عذب المنادة رقيق
من خلال الموج مدت لغريق
شكت الأقدام أشواك الطريق
أين فى عينيك ذياك البريق^(١)

أحسب أن ليس في الدنيا أبر وأحنى من اليد الممتدة يلمحها الغريق أشفى
على الهلاك تمتد إليه من خلال الموج ... إنها الحياة بعد الموت ... إنها
الآمل في قمام اليأس ... إنها الروح الناهية تعود ...
ومن تناقض ناجي قوله :

فهرأ الأفق قتام وبدت سحب تحبوا إلى وجه القمر
كلما تقرب تمتد له كأ كف شرهات تنظر^(٢)

إن الآكف الشربة لا تنتظر بل تتعجل وتلتهم ، وليكن لعل الشاعر
أراد بالانتظار التريص .

ومن أمثلة إحلالات الألفاظ في غير معانيها عند ناجي قوله في إهداء ديوانه (وراء الغمام) : « فتمتقبل طاقة بالدم والدمع ندية » .

لعل الشاعر أراد (روية) فلم يسعفه اللفظ في حينه ، لأن الندى الرقيق المتلألئ لا يشبه به الدم وإن دنا من الدمع الحنان شكلا ومعنى ..

قد يتجاوز الناقد عن هنة كهذه لشاعر آخر ولاكنها تلفتة من ناجي
الرقبي القائل :

(١) ديوان ناجي (ليالى القاهرة) قصيدة الأطلال ص ٤١

(٢) أحلام سوداء ص ١٧٨

لك حسن نوار الخميعة طل صبحها فابتسم
لك نضرة الفجر الجميل على الذوائب والقمم
لك كل ما أوفى على قدر النهاية واستتم
فبأى قلب أتقى وبأى حصن أعتصم (١)

وناجي شاعر القوافي المتعددة بفلت منه المعنى أحيانا فلا يمسك به إلا
في المقطوعة الثانية، كقوله من قصيدة « لقاء في الليل » :

عوذتها من شر أمسية تعسا بها وتضل أبصار
وكواكب ليست بمجدية ظلم مكسدة وأحجار (٢)

هنا يستبهم المعنى فلا يتجلى إلا في البيت الذي يليه ، ولكنه لا يتفق معه في
قافيته إذ هو من مقطوعة أخرى بقافية جديدة ..

عثرت بهما فرفعتها بيدي جسمها يكاد يشف في الظلم (٣)
وحينما يتعثر لفظ الشاعر في الأداء مثل قوله :

يا حياة البائس المنفرد يا يسابا مابه من أحد (٤)

ألمست ترى معي أن تجارر الأيامين ثقيلا على اللسان ؟ وحينما تتنافر ألفاظه
في مثل بيته :

وسمعنا صرخة في رعدھا سوط جلاذ وتعذيب إله (٥)

(١) الدكتور ناجي . ديوان وراء الغمام . ليالى الارق ص ٧٦

(٢) الدكتور ناجي - ديوان (ليالى القاهرة) قصيدة لقاء في الليل ص ٣٦

(٣) المصدر السابق ص ٣٧

(٤) المصدر السابق ص ٤٣ - قصيدة الاطلال

(٥) المصدر السابق ص ٤٥ - قصيدة الاطلال

(٦) (٨-٢)

ما وقع هذا البيت في حسك ... إنى أحس به تنافرا ... أين الجلال من
الاله ؟ على أن الله لا يحب أن ينسب إليه التعذيب بدليل قوله « وأنا لا ندرى
أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » ، فبناء الفعل للمجهول
في الشر له دلالة لا تغيب عن فطنة ناجى ... وليكنه سها .

وفي شعر ناجى هذا البيت :

تعالوا نشيد ملجأ رب ملجأ يضم حطام البؤس والأوجه الصفرا^(١)
وفي شعره :

هيا أجل هيا إلى أيننا لحيث نحيكى حلم روحينا^(٢)
لحيث .. هل هي ضرورة شعرية استوجبت (اللام) بدلا من (إلى) .
ويروق لناجى أحيانا وشي البديع ، فيجانس كقوله :
ابن ؟ وإلا أغن قلبي الممزق وراحم^(٣)
ويطابق كقوله :

ترامت كاشمات وشاء لها الهوى	تمبل على خد وتصدف عن خد
وتلك الكروم الدانيات لقاطف	بياض الأمانى من عناقيدها الربد
فيالك عندي من ظلام محجب	تألق فيه الفرق كالزمن الرغد
ألا كل حسن في البرية خادم	لسلطانة العينين والجيد والقصد
وكل جمال في الوجود حيساله	به ذلة الشاكي ومرحمة العبد ^(٤)
إذا كان في لحظيك سيف ومصرع	فمنك الذى يحى ومنك الذى يردى
إذا جردا لم يفتسكا عن تميم	وإن أغمدا فالفتك أروع في الغمد

- (١) الدكتور ناجى . ديوان ليالى القاهرة - قصيدة مصر ص ١٧٩
(٢) » » » من ن إلى ع ص ١١٢
(٣) » » » وراء الغمام ص ٥٨ - الزائر
(٤) » » » ليالى القاهرة - قصيدة في الظلام ص ١٨

فإني إذا جن الظلام وعادني هواك فابديت الذي لم أكن أبدى^(١)
ومن التدبيج قوله :

وهذى المنايا الحجر ترقص في دمي وهذى المنايا البيض تختال في فودي^(٢)
ولو أننا لا نوافق أصحاب البديع في أن التدبيج مجرد حلية لفظية .. فان إيجاء
الالوان له من التأثير الفني ما يجعلنا نضعه في مصاف صور التعبير الفنية . والفنان
الذي يدرك ما للالوان من أثر ينفذ إلى آفاق فسيحة من رهافة الحس وانسجام
الصور ، وتألقها ...

إن أبا تمام حين قال :

تردى ثياب الموت حمرا فما دجا لها الليل إلا وهى من سندس خضر
لم يقل حبيب هذا البيت عبثا .. هو يعرف أن القرآن وصف ثياب أهل
الجنة بالخضرة ، فاللون الأخضر إذن له تأثير خاص على نفوسنا .

والفن تعبير عن المعاني بأشياء .. والانسان قبل أن يستعمل اللغة أبان
عن وقع الأشياء في نفسه بأشياء ، فأحيانا يعبر بحركات عضوية أو حركات
صوتية أى بمبهات ، ثم أبان بالكلمات . فالأبانة بالأشياء هى الأبانة الأولى
وهى المستمرة .. والتدبيج بيان بالالوان والاضواء ، فهو فنية قوية في باب
البلاغة ...

وفي بعض شعر ناجى شية من التقليد لمن سبقوه تلمحه في مثل بيته :
انظري ضحكي ورقصى فرحا وأنا أحمل قلبا ذبحا^(٣)
إنه يلح البيت المشهور :

(١) ديوان الدكتور ناجى لىلى القاهرة - قصيدة في الظلام ص ٢٣

(٢) نفس المصدر ص ٢٢

(٣) ديوان ناجى لىلى القاهرة ص ٤٣ - قصيدة الاطلال

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرباً فالطير يرقص مذبوحاً من الألم
ويقول ناجي :

شجن على شجن وحرقة نار من مسعدي في ساعة التذكار (١)
كما قال المتنبي :

أرق على أرق ومثلي يارق وجوى يزيد وعبرة تترقرق
ويبدو أن ناجي شديد الإعجاب بهذا البيت فهو يقول على مثله أيضاً :

مهدي على مهدي وذكرى فوق ذكرى تزدحم (٢)
ويبدو أنه يؤيد رأي شوقي في مولد الحب .. فكما يقول شوقي :

نظرة فابتهامة فسلام فكلام فموعد فلقاء
ففرار يكون فيه دواء أو فراق يكون منه الداء

يقول ناجي :

صدقة ثم وقفة فانفاق فاستباق فموعد فلقاء
فقليل من السعادة لا يكمل فيه ولا يطول الهناء
فحين فلوعة فاحترق فبحيم وقوده الشهداء (٣)
ومن شعر ناجي :

عندك قد حط رحال المني وفي حمى حسنك ألقى عصاه (٤)
فأسلوب (ألقى عصاه) تعبير تقليدي قديم يبدو أنه راق المدرسة الحديثة المجددة
ولكنها على كل حال شواهد قليلة في شعره لا تكفي للحكم ، عليه وهي

(١) ديوان ناجي (وراء الغمام) قصيدة ساعة التذكار ص ١٧٢

(٢) ، ، ، ليالى الأرق ص ٧٤

(٣) ، ، ، ليالى القاهرة ، ملحمة السراب ص ٩٢

(٤) ، ، ، أنوار ص ٢٥

المأخذ التي قلبها ينجو منها شاعر محتم عليه أن يدرس شعر من سبقوه .
والدارس لشيء متأثر لا محالة به ...

... قد يبدو هذا الأثر صريحا وقد يتوارى حتى يكاد يختفي ولكنه موجود . فان الأستاذ مصطفى سوييف يقرر أن عملية الابداع بوجهها الاطار^(١) ، وإن نفي قضاء توجيه الاطار على جوهر الابداع من حيث أنه الخلق على غير مثال ...

إن عنصر الخلق مضمون إذ تتكفل به الشخصية التي تنهيا من مركبات كثيرة لا يمكن أن تتشابه في شخصين ، وهذه المميزات الخاصة بكل فرد هي التي تسكيف الخلق في العبقرى أو الفنان .

يقول الدكتور مراد : ليس الإلهام شيئا خارجيا يتلقاه المبتدع كما يتلقى الهبة ، فإن ما ألهم به الشاعر كولريدج هو خلاف ما ألهم به نيوتن عندما رأى التفاحة تسقط على الأرض . فالإلهام يصدر عن الشخص ، ولا بد له من تهيئة التربة التي سمنبت فيها ، فإن أرباب الفن الذين يحدثوننا عن إلهاماتهم الخاطفة ينسون عادة أن يذكروا لنا أبحاسنهم السابقة ومحاولاتهم العديدة ، وكل ما قاموا به من القراءات والمشاهدات والتأملات التي تدور حول المشكلة التي تشغل ذهنهم . وربما يتناسون الإشارة إلى هذه المحاولات الشاقة لكي يرفعوا من قدرهم . وحرصا منهم على ألا يطلعوا العامة على الوسائل المتواضعة التي يلجأون إليها في إخراج المعاني والأفكار في زيتها النهائي^(٢) .

على أن (ناجي) كان يحمل أطرا عدة في وقت واحد ، لقد كان في ثقافته يستقي من موارد متعددة ، ويرى مناهل مختلفة .. ومع هذا ، بل ولهذا تتمين

(١) كتاب الأسس النفسية للابداع الفني للأستاذ مصطفى سوييف ص ١٦٢

(٢) كتاب مبادئ علم النفس العام للدكتور يوسف مراد ص ٢٤٤ . النص منقول

عن كتاب «الاسس الفنية للابداع الفني» للأستاذ مصطفى سوييف ص ١٦١

شخصيته التي تطالعك في كل قصيدة إن لم يكن في كل بيت من قصيدة .

... ولنتكلم عن شخصية ناجي الشاعر ...

شخصية الشاعر :

كان (ناجي) سريع الانفعال ، كثير الأوهام ، قلق الظنون ، طاغى الحس ، رفاف النفس ، هفاف المشاعر . وكلها عوامل تظهر أثرها في صاحبها في حديثه ، في أسلوبه ، في قسما ت وجهه ، في كل ما يصدر عنه .. وكذلك كان شأنها مع ناجي ، كان لها انطباعات في أسلوبه فتركته متوثبا نابضا بالحركة حتى ليعيدك فتهتز باهتزازة .

وصورة ناجي تطالعك في كل بيت من شعره وروحه تطل عليك في كل قصيدة من قصائده حتى شعره الذي يحوز عليه النقد يمثل شخصيته أيضا ، فهو حين يقول :

آه من ساعة بث وشجون ولقاء لم يكن لي في حساب (١)

فالبيت من الناحية الفنية بيت عابر من ذلك النوع الذي كان يطلق عليه المغفور له حافظ إبراهيم (شعر السلام عليكم) السلام عليكم التي يقولها كل الناس دون أن تدل على مقدرة خاصة ، أو كفاية بعينها . وألفاظ البيت بعد هذا ألفاظ بليت من استعمالنا لها في حديثنا اليومي .. (لم يكن لي في حساب) هذه الجملة التي نرددها كثيرا هي تقريبا شطر بيت ناجي ، ومع هذا كله يدل البيت ببساطته الطبيعية وتحلله من الرصانة التقليدية وإفضائه السريع الصريح ، يدل البيت بهذا كله على ناجي البسيط الواضح السهل الطبيعة ...

يقول الأستاذ دسوقي أباطه ، وهو يقدم ديوان (ليالى القاهرة) :

(١) الدكتور ناجي ؛ ديوان (وراء الغمام) ص ١١ - ساعة لقاء

وهناك ظاهرة تسيطر على هذا الشعر من ألفه إلى بائه ، تلك هي أنك لا تستطيع أن تلج فيه ظلا لشاعر غير الدكتور ناجي ، فهو فيه بذاتية وطابعه وطريقة تفكيره وألوان عاطفته ، ونوازع شعوره ، لاني شعر الحب فحسب ، بل أيضا في المناسبات والمداعبات ...

...

ليست هذه مجاملة صديق ، ولكنها كلمة الحق التي قالها دسوقي أباطه بالأمس وأقولها مع الكثيرين اليوم ، وسوف يقولها غدا كل منصف طيب النفس بنسبة الفضل إلى ذويه ..

وهنا نكون قد فرغنا من تحليل ونقد شعر ناجي ... ولكن هناك صفات أخرى لم يستوعبها التحليل ، وهو من حقه أن نسجلها له ومنها الحوار فهو لا يحب المنصة ليلقي عليك منها ما لم يتوصل اليه عليك ولكنه يسر اليك ويشاكيك ويقص عليك ويحاورك تارة ويحاور قابله أخرى :

لم عدنا ؟ أو لم نطو الغرام وفرغنا من حنين وألم
ورضينا بسكون وسلام واتهمنا الفراغ كالعدم^(١)
ويسترسل :

أيها الوكر إذا طار الأليف لا يرى الآخر معنى للسيا
ويرى الأيام صفرا كالخريف نأحات كرياح الصحراء^(٢)
ومن قصيدته (ساعة لقاء) :

كيف يغني ما كتبناه بنار وخططنا بسهم ودموع
يشهد الليل عليه والنهار والشهيد المتواري في الضلوع^(٣)

(١) و (٢) ديوان الدكتور ناجي ، وراء الغمام . العودة ص ١٨

(٣) ساعة لقاء ص ١٣

كناية لطيفة هي إحدى طرائف ناجي في فنه ...

ويحاول حبيبه في شاعرية توهم بالنم ، وهي تمدح أغلى المدح وأزكاه :

أغر حسنك أن الخلد جدوله وأنه من غريب السحر منبهه
هيهات يخلد حسن لا يؤله شعر من النسق الأعلى ويرفعه
كم بت منتبها أصغى لخطوته أراه في الوهم أحيانا وأسمعه
كأنك النسم النشوان منطلقا أظل كالنفس الحيران أتبعه
وشعر ناجي كثير الهمس .. حتى في وحدة الشاعر :

يا وحدثني جنت كي أنسى وها أنذا ما زلت أسمع أصدا وأصواتا
مهما تصامت عنها فهي هائفة يا أيها الهارب المسكين هيبانا
جرت على الأمانى من مجاهلها وجمعت ذكرا قد كن أشتاتا
ما أسخف الوحدة الكبرى واضيعها إذا الهوائف قد أرجعن ما فاتنا (١)
وشعره متوثب دائما لا يقر له قرار ولوريع بالموت :

عجبا لقلب هيض منك جناحه وجرى به نصل الندامة يذبح
ومضى الحمام يدب فيه فان جرت ذكراك طار اليك وهو مجنح
لهفى على الناقوس بين جوانحي وعلى بقية هيكل لا تصلح
لا فرق بين أنينه ورنينه وصداه في وادى ألمية أوضح (٢)
وفي شعر ناجي إذا رضى خفة وانطلاق . ألا تحس رفرفته وهو يقول :
من أنت ؟ لا أدري ولا من أنا فيا إله الحب ماذا اسمنا
إنا حبيبان وذا حبنا إنا وليدان وهذا وليد (٣)

.....

(١) ديوان الدكتور ناجي . وراء الغمام . قصيدة أصوات الوحدة ص ١٨٨

(٢) " " " " " الختام ص ١٩٠ (١) (٢)

(٣) ديوان الدكتور ناجي ، (ليالى القاهرة) - قصيدة من ن إلى ع ص ١١٣ (١)

ويتصل بهذا الفصل طريقة ناجي في صوغ شعره فقد كان يسح بالشعر ، فهو يفيض به بينه وبين نفسه في مجلسه وفي المنتدى وفي خلوته وبين الجلوس ... وكان إذا هطل عليه منه هاعل هم بتسجيله لساعته ... على أى شيء يقع له ... ورقة ... بطاقة ... وبين يدي الآن بطاقة تحمل اسمه وتحمل في الوقت نفسه شعره طولا وعرضا فلم يترك بها فراغا غير منغوم حتى لتخال اسمه - المطبوع في وسط هذا الزحام من شعره المخطوط - معنى من المعاني رف على البطاقة مع سرب الأشعار ..

وعندما عرض الأستاذ مصطفى سويف لقصائد بعض الشعراء بالتحليل كتب عن هذه الظاهرة أنها تدل (على حقيقة هامة ، مؤداها أن الشاعر كان يعاني من ضغط شديد في نفسه ، وأنه كتب هذا الجزء تحت وطأة هذا الضغط .. لم يكتبه على ورقة تدل على استعداد المكان الذي كان يكتب فيه ولا استعداده هو نفسه للكتابة ذلك الاستعداد الذي يقوم على نوع من التنظيم والاعداد من قبل ..)^(١) .

كما كتب في موضع آخر مفسرا ما يقوله بعض الشعراء في استخباراتهم ومذكراتهم من أنهم يواجهون في لحظات الابداع مشكلة المسارعة إلى كتابة ما يشرق في أذهانهم ولا يكادون يتابعونه^(٢) ... وهنا استشهد بقول ساشفرل سيتول : تلك هي المباحج التي لا تطرأ على الكاتب في حياته الأدبية إلا نادرات ، عندما تتوالى على ذهنه الصور العقلية ، كما كانت تتولد من سن القلم وهو يكتب ، بل إن القلم في بعض الأحيان يكون أبطأ من أن يلاحقها تسجيلا ...^(٣) .

(١) كتاب (الأسس النفسية للإبداع الفني) للأستاذ مصطفى سويف ص ٢٤٢

(٢) نفس المصدر ص ٢٤٧

(٣) نفس المصدر ص ٢٤٧

وبين يدي من خلفاته صفحة (مسودة) في صدرها عنوان (عامان)
وهو يدل على وضوح الغرض من القصيدة في ذهنه . وبعد العنوان
هذان البيتان :

عام مضى وأخوه في الأثر مرا كمثل اللحم بالبصر !
يتهاديان بمسبح العمر كالزورقين بلبلة السمر !

ثم يلي هذا خط فاصل بينهما وبين ما يليهما . فهما يمثلان وثية متكاملة ،
ولفظة يتهاديان كانت أصلا (يتهادين) ، ويبدو أن عقله في فورة العاطفة نبهه
إلى النحو ، فكتب فوق (ين) من يتهادين (يان) لتصير يتهاديان .
ثم يلي هذا بيتان آخران أولهما ناقص ، أو كما يقول الأستاذ سويف
(في طور التجريب) .. أما الثاني فمكتمل :

أبصرتها في صفحة الماء ...

مسحت أساي وأبرأت داني رؤيا الحقيقة غير شواه

ثم خط فاصل ...

ويلي هذا بيتان ، أما أولهما فهو :

أدركتها فكرا وتحليقا شارفتها حلما وتحقيقا
أما الثاني فقد استمله بقوله :

أدركتها مندفا ، بالآلية أفغظية ... ثم أدركتها تهويمه شعرية فرسم البيت
على هذه الصورة :

أدركتها وغنمها عطرا وموسيقا !

ثم يلي هذا خط فاصل يعقبه هذا البيت :

عيني وعينك حينما التقتا روحي وروحك حينما صفتا
وفي المسودة (حينما صفتا) في الشطر الأول ثم شطب لفظة صفتا وكتب
فوقها (التقتا) ...

أرأيت ألفاظه وهي متواكبة ، بل إنها في سباق تتدافع فيسبق لفظ القافية
لفظ المصراع الأول ؟

وفي الورقة غير هذا الألفاظ متناثرة ، ولكنها متبلورة تبشر بمعان أكبر
تلوح في أفق الشاعر ولكنها لم تظهر بتمامها مثل :

وتزاحى في حيك النسيم :

وغربي الأضواء

وغربي الأنظار تنهب

وخصمي ! تنهب !

ويؤيد حالة الغموض الشطب والتغيير البادى في لفظتي عليك ، وتزاحى
الأضواء ، فأبدلت (في حيك) بالأضواء .

لقد كان ناجى شاعراً موعوداً ، تخيله أطيايف المعاني فيختلج ويختلج
القلم في يده معه ، وتباكرها صورها فيرف رفيف الخزامى بات
كل يجودها ...

وبعد : فهذا تسجيل وتحليل لفن ناجى الشعري ، هو على توسعه لم
يحط بكل ما يمكن أن يقال في شعر الشاعر ، ولكنه خطوط كبيرة حاولت
قدر المستطاع أن تظهر محامده دون أن تغفل في هذا الشعر هنات قلما يسلم
منها إنسان فنان ، إذا استثنينا الذين لا يعملون .. فهؤلاء السادة وحدهم هم
الذين لا يخطئون ..

الفنان في ناجي الشاعر

لعل الكتابة عن الفنان ناجي الشاعر أسهل الموضوعات على الكاتب لأنه هنا يستقي من معين ثر الجوانب .. ففي ناجي من الفنان غزارة الشعور والصدق ، وتجنُّح الخيال ورهافة الحس ، وهي مقومات الخلق في العمل الفني .. وفي ناجي من الفنان حبه للخير وهيامه بالجمال .. الجمال في الطبيعة ، والجمال في الانسان .. وفيه من الفنان عطفه على القبح واستقطاره للجمال من ينابيع خفية فيه ..

وفي ناجي من الفنان عبادته للفن ومغالاته به وإعزازه له .. وفيه منه تواضعه وإسرافه وطربه للنكتة وابتداعه لها وحبه للحياة .. وأخيرا فيه من الفنان الأصيل شخصيته ذات الطابع الغلاب الذي يترك أثره في فنه وفي متذوقه معا .

أما غزارة الشعور والصدق فيه فيتجلى في غنائه الذي لا يمل بالعاطفة .. العاطفة بمعناها الواسع الذي يتصل بالحياة والأحياء .. وقد كان ناجي فنانا أصيلا يستوحى قلبه ويستلهم عاطفته ويفهم الشعر على أنه عاطفة لا أكثر ، ويأسى (لأن في مصر مدرسة جليلة الاثر يقودها زعماء لهم خطرهم يقولون بعكس ذلك) ويقص في هذا الصدد قصة بيير ميل الذي (ذهب ليزور اناطول فرانس فوجده قد وضع كتابا على ركبتيه وظهرت عليه هيئة الطفل المذنب النادم ، فسأله : ما ذا بك يا أستاذ ؟ فأجاب هذا كتاب بيير لوتي عنوانه (الصحراء) كله وصف للرمل والضوء ، والضوء والرمل . ليس به فكرة واحدة ، ومع ذلك فهو آية من آيات الأدب الخالدة ، إنى حزين لأنني أضعت

حياتي أعتقد أن الأدب يجب أن يعتمد على الأفكار أولا ، فالآن يتضح لي عكس ما كنت أعتقد .. (١)

ولعل مما يرضي الشاعر هنا ما وصفه به إبراهيم المصري حين قال عنه ، (وهو لا يفكر أولا ثم يحس . بل يحس بجميع حواسه وأعصابه ثم يرسم ويحلم ويتغنى ، ومن خلال أغانيه تلمح فكره كعنصر مكمل لعاطفته منطوق من صميم وجدانه ..

وإذن فعاطفته لا تنحدر من فكره كمعظم شعراء هذا العصر المثقفين ، بل هو فكره الذي ينبع من عاطفته ، لأنه شاعر قبل كل شيء ، بالعاطفة يعيش ، ومن العاطفة يستلهم ، وفي سبيل الاحساس بالعاطفة وتصويرها يضرب في منابك القاهرة ليلا ، ويغشى أنديتها وملاهيها ويفرح ويهمل ويضحك ويبكي (٢) .

فإن هذا بعينه يتساق مع رأى شاعرنا في الفنان ويلتقي .
ويضرب ناجي مثالا آخر في العمل الفني يدل على أن الفنان يجب أن يفكر بالقلب فيسوق تعريف الشاعر عن الشاعر دساناي :

(رجل يرى جلال العالم في لحظة واحدة ، ويرى الجمال في كل نواحيه ، ويطنه القبح كخنجر . يأبى أن يرى الظلم يقع على الآخرين كما أنه يقع على نفسه ، رجل يعرف العالم بأجمعه كما يعرف الآخرون الفرد بالتفصيل ويعرف الزهور كعلماء النبات ، رجل يظن مجنونا ، بينما هو في الحقيقة رجل يسمع صوت الله من حين لحين) (٣) .

وآية الصدق في شعر ناجي أنه كان في جملة من نفسه وإليها ، فقد غنى

(١) من مقال للدكتور ناجي (معنى الشعر) في مجلة الفن

(٢) كتاب (صوت الجليل) للاستاذ إبراهيم المصري ص ١٤٠

(٣) من مقال للدكتور ناجي (معنى الشعر)

عواطفه هو ، وبكى آلامه هو ، والفن أصدق ما يكون إذا ما حكى عن النفس بالسليقة دون تعمل من الفنان ..

وفي شعر ناجي غير عواطفه وآلامه تماس واع للحياة والأحياء ، وهو في انفعالاته صادق يعبر عما يحسه ويتصور ما يراه ، فإن خالف الواقع المادى في هذه الصورة أو تلك من صوره الشعرية فذلك من إملاء عاطفته عليه ، عاطفته هي التي تكيف إحساساته وتلون مرآته .. يقول رودان (إننى لا أغير الطبيعة أبدا .. إننى أرصدها كما أراها ، وإذا كان يبدو للبعض أنى غيرتها فذلك يكون قد تم في لحظة لم أدرك فيها أنى أغيرها فعلا .. وبعبارة أشد وضوحا إن العاطفة تؤثر في وجهة نظرى ، هي التي تغير الطبيعة كما يبدو لسائر القوم ، لأن عاطفتك تكشف لك الحقائق الباطنية الكامنة وراء المظاهر . ولكن يبقى بعد ذلك المبدأ الرئيسى للفن ، وهو أن تنسخ ما تشهد وأى منهج آخر مآله إلى الفشل حتما .. وليس على الفنان أن يحمل الطبيعة فإنه لن ينشئ عملا فنيا .. لأنه ينظر Regarde دون أن يرى Voir)^(١).

وهكذا كان ناجي يرى وينفعل ، ويعبر عما رآه ، ويسجل انفعاله به في بساطة الفن الاصيل الذى ينبع من نفس سهلة وفطرة سمحة موأبة ..
وخيال ناجي المجنح دليله تلك الصور الكثيرة المعروضة في ديوانه ..
ويتصل بغزارة الشعور رهافة الحس ، وناجى شاعر مرفرف كأنه يهفو بجناحين ..

وشاعرنا كبير النفس واسع المرومة .. كم آسى من جراح وكم بذل من معروف .. لم ترض برحمته بالطب لمرضاه فحسب ، بل تكفلت بتقديم الدواء للعاجز ، وكان يعود الفقراء منهم فى بيوتهم متطوعا .. لقد كان رجلا ، وكان نبیلا وكان عظوفا رحیما .

(١) النص متقول عن كتاب الأسس النفسية للإبداع الفنى للاستاذ سويف ص ٢٧٧

وعندما استأثرت رحمة الله بالطبيب الآسى غلب على رثاء الرائيين حديث
رحمته حتى كادت تنتظم منها ملحمة رفيعة ، فشعره حنان وطبه شعر ، وهذه
دمعة واحدة من الدموع التي أريقت عليه لا تدرى معها أيهما أحق بالبكاء :
الفنان .. أم الانسان ؟

(كذلك كان صاحبي « إبراهيم » ، ما ترك من حياتنا وجها إلا مسح بيد
الشاعر عليه ، ولا موضعا إلا رف بجناحيه لديه ، ولا مروءة إلا بادر إليها
متوثبا ، ولا مكرمة إلا استبق إليها ، صداحا طروبا ، ولا خيرا إلا كان
لندائه في مطالع المستحيين ..

لقد جعل الطب أيضا شعرا ، وذهب فيه مذهبا مبتكرا ، إذ أدخل
عليه الرفق ، فجعله صناعة حنان ، وانكشف في دراسته ، ليجمع فيه بين المهنة
والفن ، حتى لتزدحم دار علاجه بأهل الفاقة والحرمان ، وهو المهتل لهم ،
لا يسألهم أجرا ، بل قد يشتري لهم الدواء ، ويذهب يبحث عن الغائبين
منهم والمدنفين ..

كان إبراهيم ناجي طبيبا رحيا ، لا يأبه بالمال ، ولا يحفل بمركز العليل
بل يؤثر الفقراء على أصحاب اليسار ، لأنه يجد في علاج المساكين (إنسانيته)
الكرامة ملتقية مع آدميته النبيلة ، كشاعر بديع ، ملهم الخاطر ، رقيق
الوجدان .. (١)

وليس هذا القول من فعل الموت ولهفته ، وليس هذا من تعاق النفس
بالممنوع ، وتشبثها بالمسلوب الذي لا أمل لها في استخلاصه ، وليس هذا من
حنين الحى إلى الميت .. ليس هذا من فعل الموت الذى يضرم حب الميت في
قلوب الأحياء وكأنه ولد فجأة ودفعة واحدة .. ولكنها صفات الرجل ترفع
من ذكره بعد وفاته ، كما كانت تعلى من قدره في الحياة .

(١) للاستاذ عباس حافظ .

إنها صفات الرجل التي وصفه بها راثوه ، فلم يزدوا شيئاً عما قاله فيه
إبراهيم المصري قبلهم منذ عشرين عاماً ، حين كتب عن ناجي الشاعر يقول
والعجب عليه باد :

« للدكتور إبراهيم ناجي ^(١) شخصية غريبة تستهوى كل من اتصل بها .
شخصية شاعر فلق يحيط بها ويغمرها السر الذي قذف بها إلى هذا العالم والذي
لا تنفك تتسامل عنه ، وتتطلع إليه ، مبهوتة مما ترى حولها من ألم وجمال ،
شخصية خفيفة بمنحة لا تلبث أن ترف على الأشخاص والأشياء حتى تحاق
في أجواء غير منظورة أسعد ما نكون بالصمت والتأمل والصفاء .. »

تلتقي بالدكتور ناجي فتشعر كأن نسيماً منعشاً يهب عليك ، وتصادفه فكأنما
هو يفتح صدره لك ، وتجلس إليه وكأنك في حضرة روح حائر ، وتستمتع
لحديثه ، فيأخذك العجب من طهارة قلبه وبراعة نفسه وسلامة طويته وعذوبة
صوته وطلاقة بحياه ، فتذهل ويتضائل شخصك في عين نفسك ، ويعز عليك
نقصك ، ولا يغريك في النهاية الا يقينك بأن الخير الذي غادرك استقر في سواك
وتمثل نابضاً حياً في قلب هذا الشاعر النبيل الشاب !

وتحدق إليه فتري رجلاً هز يلاً متوسط القامة منكمش الأعضاء ، أصلع
مقدمة الرأس ، ناعس العينين مديد الذقن ، أشبه بالصورة التي نعرفها للشاعر
الإيطالي دانونزيو ، يمشى وكأنه يتعثر ، يصمت وكأنه غير موجود ،
يتبع في ركن من القهوة وغليونه في فمه وكأن سنة من النوم قد
استخرقته . ثم يتكلم بغتة ويفيض ولا يفتأ يتحرك ويتلفت ويلوح بذراعيه
تلويحاً عصيباً متداركاً ، فتحس لفورك رحابة نفسه واضطرابها وضيقها
بما تحمل .

وتسمعه يجادل ويحتد وصوته أبداً صريح ، وجبينه أبداً منبسط

(١) كتاب « صوت الجليل » للاستاذ إبراهيم المصري ص ١٣٨ - ١٣٩ وقد صدر
هذا الكتاب سنة ١٩٣٤ .

والابتسامة الرقيقة لانفارق شفقيته ، وعينه الحاملة أصفى مانسكون محبة وعظفا ، فيخطر لك أن تداعبه بنسكته ظريفة ، وسرعان مايتبدل ويستغنى وجهه ويتألق وتشيع فيه نضارة معبودة كنضارة الأطفال ، فيأخذ في إرسال النسكته تلو النسكته ، حاضر البديهة عبقرى الفكاهة جم الحيوية ، يضحك ضحكات حرة عريضة كأنما الفرح كله قد اجتمع في فؤاده ، وكأنه قد نسي في لحظة واحدة كل ما استشرفت عليه نفسه من هم الحياة ! .

هذا جانب الخير فيه ، أما جانب الجمال فحديثه ذو فنون .. لقد هام بالحسن في الإنسان والطبيعة .. وغناؤه للناعمات الغيد قد سمعناه في فصل (شاعر الغزل) .. فليستعده من يشاء .. أما الطبيعة ففي حضنها غالبا كانت وقفاته وملتقاه حتى ليخيل إلى أن كمال هنائه في جمعه وجه الحبيب الحسن والخضرة والماء .. وهو يطلب بدوره التجاوب مع ماحوله ، فيتسائل :

هل يسمع النيل إذ سرنا بجانبه والموج مجتمع فيه ومفترق
صوتا تماوج في روحى فجأوبه من جانب القلب موجراح بصطفوق
تظل تهب أذنى من أطاييه كأنها من خفايا الغيب تسترق
ياجنة من جنان الله أعبيدها لن تبعدى ولدى السحر والعبق^(١)

إن الغصن الصغير يستوقفه .. و .. يجذبه ... ويوحى إليه !
كيف هذا ؟

لا تسألنى ، بل سله هو يقص عليك :

رأيت غصنا صغيرا منورا ونضيرا
أرق ما تشتهى النفس من منظرا وعبيرا
جذبته جذب عنف قد كاد يذوى الزهورا

(١) ديوان الدكتور ناجى . ليالى القاهرة - قصيدة المنصورة ص ١٠٨

فلم ين الجذبي وكان غصنا صبوراً
لكنني لم أدعه حتى علا مسروراً
وارتد يضرب وجهي ضرباً عنيفاً مثيراً
وعاد ينشر في الآيك ذا الحديث المثيراً
تضاحك الآيك جذلان شامتا مسروراً
ضحك الذي بعد صبر قد فاز فوزاً أخيراً^(١)

هذه إحدى قصصه مع الطبيعة فيها اشتها المنظر واسترواح العبير ، وفيها
المعاشاة ، وفيها المساجلة وفيها التأمل والاندماج ، وأخيراً فيها الرمز ، كل هذا
في بساطة ينبل بها الفن لأنها بساطة الأستاذية المبدعة ..
وناجي يعرف كيف يتحد بالطبيعة . ومن مخطوطاته هذه الصورة من صور
امتزاجه بها :

قاسمتني الورقاء أحزان قلبي وشجاء ، وغردت حين غرد
ثم ولت ، والقباب كالوتر الدامي يتيم الدموع واللحن مفرد
ما بقي ! أرى أطراد فنائى وانتهائى فى صورة تتجدد
وهذا الشاعر المولع بالجمال فى الطبيعة والانسان صدمه مرة كاتب بمقال
عنوانه (شعراء الجمال محرومون من الجمال) وسلكه بينهم ...

فرد عليه متسائلاً : على أى صورة تفهم الجمال ؟ ثم انبرى فى الدفاع عن
الشعراء الذين لم يشأ حظهم أن يرووا كاتب المقال ، ثم انتهى بنفسه مخاطباً
الكاتب فى سخرية فائلا (... الصحيح أنك لم ترق أبداً ، ولم تقرأ أبداً .
فلماذا لا تزورنى لفنجان قهوة . لعلى أعليك وأقول لك ماهو الجمال !!
الجمال أيها المحرر العزيز فكرة ومعنى ، وحركة وحياة ، وإشراق ولمعان ..

(١) ديوان الدكتور ناجى . ليالى القاهرة - قصيدة غصن صغير ص ١٩٨

وليسست الوحاشة في أنف كبير ولا في خلقة (زرايبي) ولا في شفة غليظة
ولا في نظارة سمكة ولا في قوام «متداع» .

الجمال أيها المحرر العزيز هو ذلك الشيء المبهم الذي يطالعك من عيني ،
ولو ذا بلتين ، فينتزع إعجابك وأنت لا تدري بالضبط لماذا ... ؟

اجلس مع أي من هؤلاء الوحشين ، وتحدث إلى أي أحد منهم وأنت
تعلم معنى الجمال ... جمال النفس ...) .

وليس الجمال وحده هو الذي يستهويه فان الأديب عنده هو الذي
يعلمنا أن نحب الحياة (ورسالة الأديب تجعلنا نؤمن بجمال الوجود وبأنه
مامن شيء إلا وله قيمة ، وأن القبح الظاهر قد يسترجع جمالاً بارعاً ، إن في الشر
صورة قد تكون أروع من الخير . وبعبارة أخرى أن الأديب الحق
هو الذي « يرى » والذي يستطيع بدوره أن يجعلنا « نرى » ونحس ونلمس
ونؤمن ..) (١) .

ها هو ذا ناجي في رحابة قلب الفنان يشفق على كل شيء ويترفق في
الاتصال بالأشياء والناس ، ويسكب الفن سلامه ونوره في نفسه فيلمح
الجانب المضيء كما يدرك بنفاذه الجانب المظلم من كل شيء . ويغفر هذا من
أجل ذاك .. كان يرى لكل شيء جانبيين فاذا أخذ على المتنبي تصويره الدنيا
كمركة دامية لا أثر للرحمة فيها ولا للإنسانية ولا للخير ، أردف قائلاً في
عزاء (ولكن لا بأس ، لنعلم أولادنا القوة والبأس والاعتماد بالنفس ،
ولنتركهم للحياة بعد ذلك فيسرون فيها الخير والشر جارين ، والطيب والخبيث
شبيين ضروريين متلازمين ، وفي رأي أن الشعور بالقوة هو الذي يولد
الرحمة ، لأن الضعف يولد الحقد والثورة الكامنة) (٢) .

(١) من مقال « أدب السخط وأدب الدموع » في مجلة الفن

(٢) من مقال « معنى الشعر » في مجلة الفن

وناجى الذى يحب الخير ويعشق الجمال ويدين بالرحمة ، يغالى بفنه على
البخس وهو المستهين بالمال ، السخى به .. دعتة محطة الاذاعة المصرية ليسجل
ملاحمته المعروفة « الاطلال » فأرسل اليها نسخة منها .. وقد سجلها مديرها
فى ذلك الحين فى شريط استغرق نصف ساعة .. وأذاعتها مرارا .. كل هذا
دون أن يفتاحها ناجى فى القيمة المادية لتسجيل الملاحمة .. وإذا بالاذاعة
تعرض عليه .. مائة وخمسين قرشاً .. أتدرى ما الذى فعله ناجى ؟ لقد غضب
الفنان لفنه الذى صاغه من قلبه وروحه ثم ارتخصته محطة الاذاعة ..
لقد ذهب ناجى إلى مدير الاذاعة وقال : إن هذا ثمن تغريدك ، لا ثمن
شعرى أنا (١) .

وكان هذا آخر عهده بالاذاعة ..

على أنه لا يعنيه التقدير الحكومى ، وتسأله عن السر فيقول :

(إنى مؤمن بهذا الشعب ، وقد كنت أعتب على صديقى الدكتور زكى
أبو شادى ضجره بالحياة فى مصر ، فقد تخطته الحكومة فى الترقية مرارا حتى
مل الانكار وهاجر إلى أمريكا . كنت أعتب عليه هذا الملل وأقول له أن
لدينا رسالة نؤديها للشعب وعلينا أن نؤديها مهما لقينا فى سبيلها . أما هو
فهاجر يائسا ، وأما أنا فقد كانت تعتربنى فكرة الهجرة من حين لحين ،
فاذكر نفسى بما قلته لأبى شادى ، وهو أننى أحمل قلما أودى به رسالة
لبنى قومي (٢) .

إن (ناجى) يكبر الفن هذا الاكبار ، لأنه يحبه غاية الحب ، هل
تصدق أنه كان يتداوى بالفن ليتداوى به حقيقة لا مجازا .. وكيف ؟ سأترك

(١) من مقال « دردشة أدبية » فى الجهور المصرى

(٢) نفس المصدر

له الجواب .. (مرت الأيام ، وتقدمت بي السن ، واعترتني أمراض وأزمات فأتخذت أتداوى بقراءة أغاني شاكسبير .. وهذه الأغاني لا يعرفها إلا القليلون لعمقها وصعوبتها ..

وكان تسليتي أن أقرأ وأنرجم ، ولم أكد أفرغ منها حتى برئت من مرضي جسما ونفسا ، وعادت إلى شبابي ولا زلت محتفظا به وبأغاني صديقي شاكسبير (١)

وفي ناجي من الفنان روح الفكاهة ، فهو يطرب للنكتة ويعرف كيف يخلقها .. وهو يرى النكتة فنا ، ويستشهد على فنيها برأى ذلك الفريق من علماء النفس الذين أكدوا أنها فن . إذ (الفن طاقة حيوية فائضة ، لا تيسر إلا للذين وهبهم الله من الحيوية معينة طيبا لا تستنفده شواغل الحياة العادية ، ولا تبطلعه الدنيا بمتاعها المألوفة ، وهم يستدلون على ذلك بأن النكتة الصافية كالفن العالي ، لا توجد إلا عند الأذكاء ...

وهو يعقب على هذا الرأي متسائلا : ولكن ما الذكاء ؟ لاشك أنه ضرب من البريق اللامع . إنه استخلاص النتيجة ، وإدراك لمخرج ، أو ملاحظة لما يفوت الكثيرين ، أو حدة في الذاكرة ، ونحن نسميه تجاوزا بسرعة البديهة ، ولو أن سرعة البديهة ضرورة لكل فنان أصيل ، ولكل رجل عبقرى ، وهل النكتة البارة إلا نوع من الخلق والابتكار ؟ فهي إذن فن ، لأنها وليدة الذكاء ؟ ... ولا يعرف فنان أصيل إلا وله باع في النكتة (٢) .

ومن طرائف ناجي تلك القصة التي يرويها : (اشترى العمارة التي أسكنها

(١) من مقال للدكتور ناجي بعنوان (كتب اثرت في حياتي) .. الجمهور المصري

بقال ثرى ، ثم شاء أن يسكن شقة فيها ، فأندرنى بالاخلاء ورفضت بالطبع ، فسارت القضية إلى المحكمة وهناك تبين أن صاحب العمارة سيسكنها هو وأولاده ، وأن بناته على وشك الزواج ، فشرد ذهنى ، والتفت فجأة أسأل القاضى :

أريد أن أعرف أولاً ، لماذا اختارنى وحدى دون سكان العمارة جميعاً ؟ . ولم يكن محامى البقال قد أعد رداً لهذا السؤال الذى فوجئ به فالتجأ إلى اختراع سبب ..

(وهنا دماعة فى الوصف إذ المراد (اختلق) خففت ولطفت حتى صارت اخترع) - حين قال :

- الدكتور غنى ... ومالك عمارة فى شبرا .
فسألنى القاضى .

- هل أنا حقاً أملك عمارة ؟

فقلت على الفور .

- عمارة إيه بس .. هو أنا حتى مالك ، أعصابى ؟

فضحك القاضى ، وضحك جميع الحاضرين ، وكان الحكم بعد ذلك فى صالحى .. (١)

* * *

حدث أن زار ناجى الطبيب مريضاً من المعدين فى الأرض ولما فحصه وقف على السر الرهيب .. إن العلة لم تكن سوى الجوع ! وأخى الطبيب رأسه ثم رفعها ليطمئن مريضه . وأقبلت زوجة الرجل تسأل (الحكيم) عما به فطمأنها ثم أسرت يده إلى يدها خمسين قرشاً وطلب إليها أن تشتري له بها دجاجة ولحماً وتطعمه ثم انصرف .

[(١) من مقال فن النكتة فى مجلة الاثنين . ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م ، العدد (٢) ٢١-٢٠-٦٥٦١]

وجرت الايام في سيرها فإذا بناجى الشاعر يرى نفسه مصادفة أمام
زوجة الرجل في بعض الطريق .. فتذكر وسأها عنه وعما فعلته وهل أطعمته
الدجاج كما وصف لها ؟ فقالت على الفور :

(لا أنا اديت الفلوس لحكيم يفهم علشان يكشف عليه)

كان ناجى يروى هذه الطرفة في مجالسه متفكها ويعقبها بضحكة طويلة
مستغرقة فيها من سخرية العارف ، وألم الاسوان أضغاف ما فيها من سرور
المتندر الخلى ..

وناجى ضحك طروب ... ولا يتنافى هذا مع شعره الحزين الكابى
فإن أسرع الناس استجابة لأسباب الضحك عند الحاجة أعظمهم إحساسا
بالآلم .. وقد كان شعره صورة من نفسه ، ونفسه طالما عصرها الآلم ، .. أما
النكتة فهي تنفيس عن ذلك الآلم من نوع آخر ، تنفيس ضاحك حين كان
الشعر تنفيسا باكيا .. وقد رأينا طرفا من دعاياته عند عرضنا لشعره ، دعاياته
التي نال بها آخرين .. وهاك دعاية ، ولكنها تدور حول نفسه وتمثل روح
الفكاهة عنده .. (كل من رآنى من إخوانى يقول لى أنت طفل كبير .. وسنحت
الفرصة لاستغلال هذه الهيئة ، فتقدمت لمسابقة الطفولة ولكنى للأسف منعت
من الاشتراك بحجة أننى طفل عجوز ، مع أن لدى من الأدلة ما يثبت أنى
طفل ويجوز لى أن أتطفل على الطفولة .. فأنا أبذل أسنانى الآن ، ووصف
لى الأطباء الأكار من شرب اللبن والفيتامين المركز الذى يوصف للأطفال
للين العظام .. وليس لى شعر ، وقد أخذ ينبت أخيرا ، والبس مريلة فى العيادة ،
وأستطيع أن أضحك فى أعصب الأوقات ، وأنا شاعر والشاعر دائما طفل
كبير .. فطمت من كل شئ إلا من صفى الطبيعية ، وأطير من نفخة ،
وتقانى الريح رأسا على عقب إذا اشتدت قليلا ، فبناء عليه أطالب (الاثنين)

بأن تشركني في مسابقة الطفولة ، وسواء اعتبرت طفلا أو متطفلا (١) .
لشد ما تذكرني هذه القطعة بأسلوبها وروحها وسخريتها بالمغفور له
الأستاذ المازني .

* * *

ومن نوادر الفنان في ناجي الشاعر هذه القصة فاسمع إليه .
كنت في امتحان البكالوريا أحفظ (هملت) كلها وأمثلها كآني على
مسرحه .. فلما جاء دوري في الامتحان الشفهي سألت الممتحن البريطاني كما
يسأل الطلبة ، ما ذا تحفظ ؟ فقلت (هملت) قال : أسمعني .. فنهضت واقفا
وأخذت ألتقي وأمثل .. ونسيت نفسي ونسى الممتحن نفسه ووقته ، حتى أفاق
فنظر في ساعته فإذا به قد استمع إلى ساعة كاملة بينما الناس في الخارج يتساملون
عن سر هذا الامتحان الطويل لطالب واحد .
وأخيرا نظر إلى وقال : دهل جئت تمتحن في البكالوريا .. إذهب بارك
الله فيك ، (٢) .

* * *

وهو فنان طالبا في الطب .. وكيف ؟ .. عنده لا عندي الجواب :
(أخذت أدرس الطب على طريقه فنية ، فقد كنت أبتدع لرفاق الصور ،
وأخترع لهم من فنون الكتابة ما يعينهم على الحفظ . وظللت كذلك إلى
الساعة التي أكتب فيها هذا ، أزاول الطب كأنه فن .. وأكتب الأدب كأنه
علم ، أي أراعي فيه المنطق والتحديد والوضوح) (٣) .

(١) من مقال لناجي في مجلة الاثنين بعنوان (طفل متطفل)

(٢) من مقال دكتبت أثرت في حياتي ، الجمهور المصري ١٦ - ٢ - ١٩٥٣ .

(٣) من مقال (الأدب في سير جاله) للدكتور ناجي

وفي ناجي من الفنان تواضعه وإسرافه وليس التواضع والاسراف
بصفتين موجبتين في الفنان فقد يكون على التقيض .. إذ الفنان كشخص
غير عادي لا يعرف الوسط الشائع بين الناس فهو في صفاته إما في هذا
الطرف أو ذاك ...

وتواضع ناجي دليله أنه كان طبيبا وكان شاعرا وهما صفتان نابغتان ،
ولكنهما لم تحفزا به إلى الفخر والتعالى بل كان لين الجانب رقيق الحاشية ..
فلم يفتخر على عادة الشعراء .. ولم يحرص بطبعه المال على كثرة مرضاه لأنهم
لم يكونوا في عينيه يوما وسيلة للكسب ، بل مجلى للرحمة والإنسانية والفنية
فيه ...

وفي ناجي من الفنان شخصيته التي تميز العمل الفني بإمضاء غير منظور .
وأحسب أن لست في حاجة إلى من يدللك على القائل إذا سمعت هذه الآيات :
إني على يأس وكأسي كافي وعلى سراي عاكف وشرابي^(١)
ولقد فرغت من التعلل بالمني إلا وميضاً في الرماد الخابي
رمقا يعللني بأنك عائد يوما لقلبي قبل يوم ذهابي^(٢)
حتى إذا الأقدار شئن وعدت لي راجعت نفسي وأتهمت صوابي
أأرى شروقك في أفول مغاربي وأشم عطرِكَ في ذبول شبابي
إنه ناجي بلامراء .. ناجي بياسه وكأسه وسرابه وأمله وشكه وحذره .

(١) ديوان ناجي (ليالي القاهرة) ياس على كأس ص ٥٩

(٢) يجوز أن يروى هذا البيت :

رمق يعللني بأنك عائد يوما لقلبي قبل يوم ذهابي (١)
على سبيل الالتفات ولعل هذا أحسن وقعا في النفس .. ولكن لنندع للشاعر
بيته بتحكم فيه ذوقه وحده .

لأنه ناجى وهذه الفاظه واللحن من موسيقاه .

ويعرف ناجى « الانتاج الفنى » بأنه (ولادة وأن الفنان الصحيح يعانى فى سبيل فنه ما تعانى الأم حتى تضع مولودها ، وما يسبق ذلك المولود هو نفس ما يحدث للفنان حين يهبط عليه الوحي فتملؤه الفكرة ولا تزال تطارده حتى تندمج فيه ، وما تزال تلح عليه حتى يخلص منها ما نسميه العمل الفنى)^(١).

ويذكرنى هذا التعريف بقول المغفور له الأستاذ المازنى (.. ليس ثم أدنى فرق فيما أعلم وأحس بين التمثيل بالجنين ، وبين حركة التوليد فى النفس وكما تفتر المرأة بعد أن تضع طفلها ، ولا يتنازعها فى ذلك الوقت شوق إليه أو تحس فرحاً به ، وإنما يكون إحساسها بالفرج بعد الضيق التى كانت فيه ، والكرب الذى كانت تعانيه ، والراحة بعد الجهد والمشقة والعذاب ، والتفتير الذى يورثها إياه ما تجشمت ، كذلك يكون الأديب بعد أن يستريح من أزمة النفس والفكر)^(٢).

والرجلان صادقان فيما ذهبا إليه .. إن كلا منهما يصنف تجربة عاناها ويعانيها كل فنان أصيل .

وبعد .. فقد عاش ناجى حياته فناً ، أخرى بالواصفين أن يقولوا فيه ما قاله هو فى الحكيم (قضى زهرة الحياة يغترف من معين السماء ، ويقتبس من النجوم ، يريد أن يرفع أهل الأرض إلى تلك العوالم المضيئة المتألقة العالية ..)^(٣)

سألوه عن شبابه فبرقت عينه وهو يتمتم .. (ظفرت بالجمال ، وعبدت

(١) « الخبر » العدد الصادر فى ١ - ٢ - ١٩٤٥

(٢) العدد ٢٣ من مجلة الرسالة . السنة الخامسة . ص ١٩٢٥ بتاريخ ٢٩ - ١١ - ١٩٣٧

(٣) كتاب « توفيق الحكيم » للدكتور اسماعيل أدهم والدكتور إبراهيم ناجى ص ٢١٦

الفن ، ونعمت بالموسيقى ، ولعبت بالممال ، واحتملت العذاب ، وتلذذت
بالكفاح) .

الجمال والفن ، والموسيقى معابد فنان ...

واللعب بالممال طبيعة فنان ...

والعذاب والتلذذ بالكفاح ضريبة الفن ...

لكن سحر ، وإلهام ، و... وقد أداها وأوفى غاية الوفاء .

نرى هنا أن أفعال الفنان... ومثله فليقلنا في معاصره بالملف نأ
نرى هنا أن أفعال الفنان... ومثله فليقلنا في معاصره بالملف نأ
نرى هنا أن أفعال الفنان... ومثله فليقلنا في معاصره بالملف نأ
نرى هنا أن أفعال الفنان... ومثله فليقلنا في معاصره بالملف نأ

لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه

ولكن إن كان في ذلك من الغرض...
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه
لأنه رايته أنه ليس كـ لكنه قد كان سبطاً رداً رايه

(١) ...
(٢) ...

مور

وقبل أن نودع (ناجي) في شعره ، بعد أن ودعناه في الحياة ، يحسن بنا أن نتطلع إلى هذه الصورة القليلة من شعره .. وقد رأيت أن أخصها بركن خاص حتى لا تخطئها العين العابرة في زحام المعرض الحافل . وإليك الصور بأسمائها :

حیدران :

هل رأى الحب سكرارى مثلنا
ومشينا فى طريق مقمر
وتطلعنا إلى أنجمه
وضحكنا ضحك طفلين معا
كم بنينا من خيال حولنا
تنب الفرحه فيه قبلنا
فتهاوين وأصبح لنا
وعدونا فسبقنا ظننا^(١)
صورة فيها نبض وفيها مرح ، وفيها خفة تكاد تطير ..

فداء وولام :

يُحرم حتى وهم حبك من رمى
وأففق فيه قلبه وشبابه
ومن عجب أحنو على السهم غائرا
بمهيته في ناره دون إحجام
فلم يبق إلا الجرح والشفق الدامي
ويسألني قلبي متى يرجع الراي^(٢)

لقاء :

أيها النور سلاما وخشوعا أيها المعبد صمتا وركوعا
ملككت قلبي ولبى رهبة عصفت بالقلب واللب جميعا
رب قول كنت قد أعددتَه لك إذ ألقاك يأبى أن يطيعا
وحبيبي من عتاب في في قد عصاني فتفجرت دموعا^(١)

مناجاة :

قربي عينك مني قربي ظلمي واغمريني بصفها
وأرني هداة البحر إذا اند بسط البحر جلالا وتناهي
وأرني لجة السحر التي ضل في أعماقها الفكر وتناها
ألمح اللؤلؤ في أغوارها وأرى الطيبة تطفو في سناها
وأراها تخبأ الخلد لمن باع دنياءه وبالروح اشتراها^(٢)

نداء :

وأناديك في التذاني وما أطمع إلا أن يستجاب النداء
باسمك العذب انه أجمل الأسماء مهما تعددت أسماء
لفظة لا تبين تنطلق الأقدار عن قوسها ويرمى القضاء
وهي بين الشفاه ناي وتغريد وطير وروضة غناء
وهي في الطرس قصة تذكر الأحباب فيها وتحشد الأنبياء^(٣)

تدليل :

ماذا صنعت بناظر لا يثنى متطلعا متلفتسا مرئدا

(١) ديوان وراء الغمام قصيدة الغد ص ١٠٠

(٢) المصدر السابق إلى ص ١٥٥

(٣) ديوان ليالى القاهرة ملحمة السراب ص ٩١ - ٩٢

وأنا غريب في الزحام كأنني آمال أجفان حرمن رقادا
ولقد ترى عيني المجموع فتأري دنيا تموج ولا تحس عبادا
فاذا رأيته كنت أنت الناس والأعمار والآباد والآمادا
وأراك كل الزهر، كل الروض، أنت لدى كل خيلة تهادى^(١)

حرية :

وعفا القيد عنك كفا وساقا فاذا الأرض كلها لك دارا^(٢)

ذكرى :

يا زهرة عذراء تشر عطرها وتذيع في جفن الضحى أحلامها
لاقيتها والريح تجمع شملها والسحب تجمع برقها وغمامها
عانتها ظمآن أشرب راحها واستقطرت قلبي لثلا جامها
فاذا الرياح نزعها عن خافق ضمت على أنفاسه أكامها^(٣)

وفاء :

لك في خيالي روضة فينانة غنى على أغصانها شاديا
يحمي مغارسها ويرعى نبتها راع يجنبها البلى وبقيا
فاذا النوى طالت على وشفنى جرحى أو عاد لمهجتى يدميا
نسق الخيال زهورها وورودها فقطفها وشممت عطرك فيها^(٤)

(١) ديوان ليلى القاهره. آمال كاذبة ص ١٠٤

(٢) المصدر نفسه السراب في السجن ص ١٠١

(٣) من شعره المخطوط من قصيدة بعنوان « قصة حب »

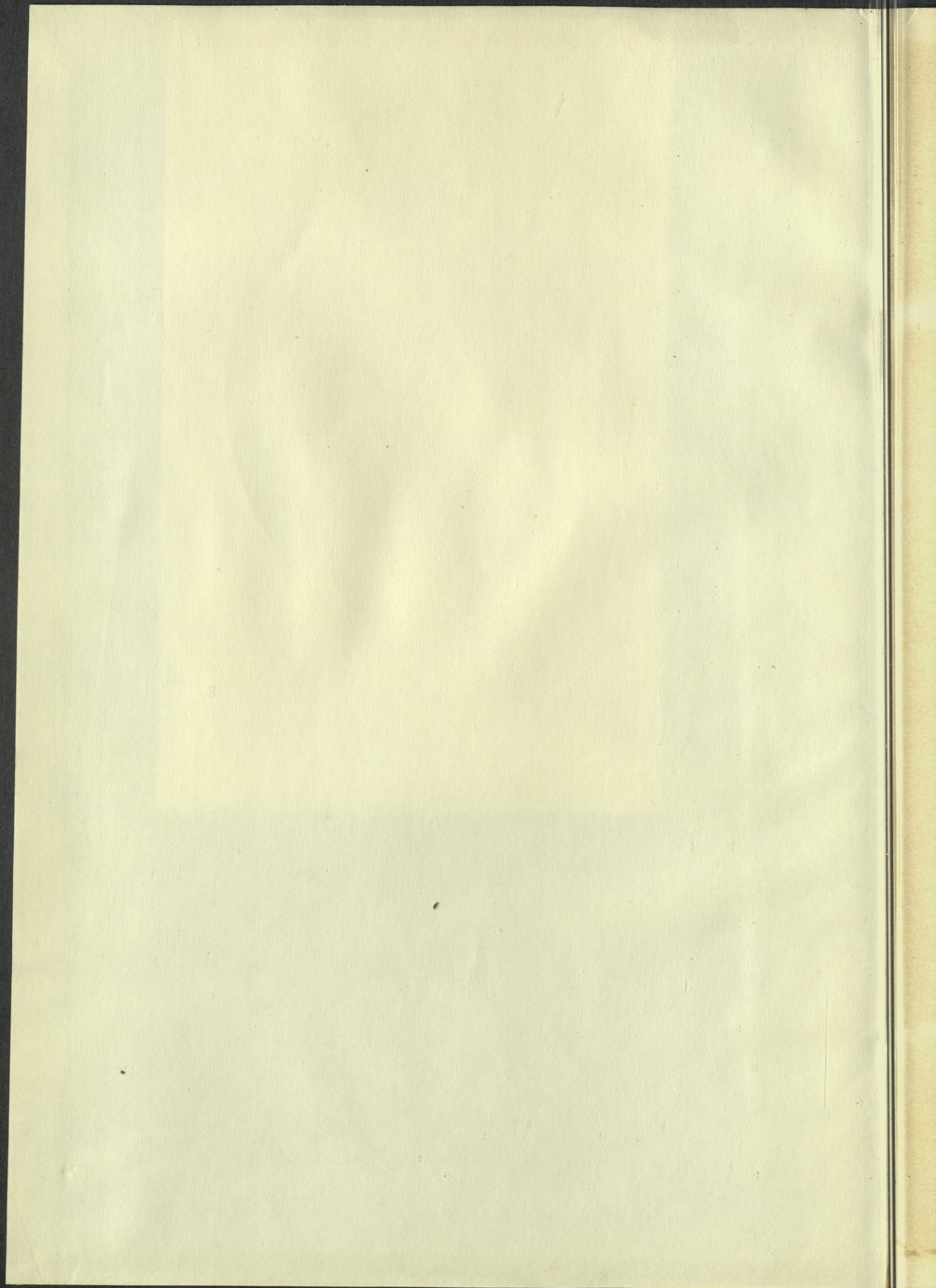
(٤) المصدر السابق .

المراجع والمصادر

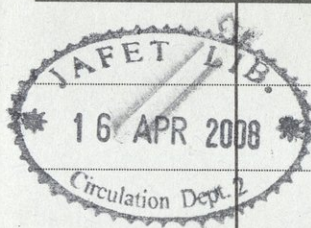
- ١ - دكتور إبراهيم ناجي ديوان وراء الغمام
- ٢ - " ديوان ليالى القاهرة
- ٣ - " رسالة الحياة
- ٤ - " كيف نفهم الناس
- ٥ - " شعر مخطوط
- ٦ - " والدكتور إسماعيل أدهم توفيق الحكيم
- ٧ - دكتور طه حسين حديث الأربعماء
- ٨ - الأستاذ مصطفى سويف الأسس النفسية للإبداع الفنى
- ٩ - الأستاذ مصطفى السحرقي الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث
- ١٠ - الأستاذ إبراهيم المصري صوت الجيل
- ١١ - صحف ومجلات : الرسالة - أبولو - الفن - الاثنين - الكواكب - الجمهور المصري - الخبر

فهرست

الموضوع	صفحة
المقدمة	٣
لمحه من حياة	٥
ناجى الشاعر	١٩
شاعر الغزل	٢٩
شعر ناجى	٦٢
شعر المناصبات	٨٠
فن ناجى الشعرى	٩٠
الفنان فى ناجى الشاعر	١٢٤
صور	١٢٩
المراجع	١٤٣
فهرست	١٤٤



DATE DUE

محمد صالح الدقر
 تـ ٧

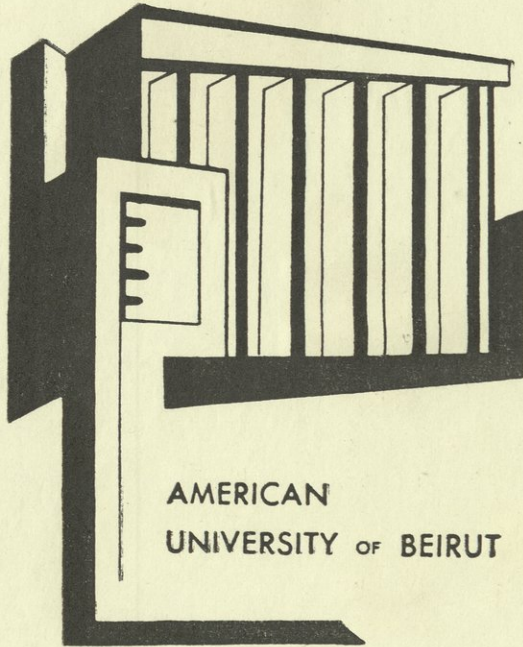
فؤاد، نعمات احمد

ناجي الشاعر

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01034715



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

